

للحقيقة والتاريخ

## ما لا تعرفه عن ثورة يوليو

من ٢٣ يوليو سنة ١٩٦١ حتى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠

لطفى عبد القادر

الجزء الثاني

## الإهداء

أهدى جهدى المتواضع هذا الذى يمثل أصدق ما  
كتب عن هذه الحقبة الهامة من تاريخنا المعاصر إلى  
راصدى التاريخ من العلماء لعله يساعدهم على كتابة  
التاريخ الحقيقى والدقيق لهذه الفترة الهامة من تاريخ  
مصر.

نطفى عبد القادر

اسم الكتاب: مالا تعرفه عن ثورة يوليو

اسم الكاتب: لطفى عبد القادر

الناشر: مكتبة مدبولي - ٦ ميدان طلعت حرب - ت: ٥٧٥٦٤٢١ - ٥٧٥٢٨٥٤  
الطبعة الأولى

تصميم غلاف:

الجمع التصويرى والتنفيذ: محمد رمضان ت: ٣٦٤٨٥٥٥

## المقدمة

عزيزى القارىء

قسمنا مسار ثورة يوليو إلى ثلاث مراحل . الأولى فترة الإنجازات التى انتهينا فى الجزء الأول من كتاب ما لاتعرفه عن ثورة يوليو « عن هذه الفترة التى بدأت منذ قيام الثورة فى فجر ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ حتى ٢٣ يوليو ١٩٦١ موعد صدور القرارات الاشتراكية والثانية - موضوع الجزء الثانى من هذا الكتاب والتى نطلق عليها فترة الانتكاسات من يوليو ١٩٦١ حتى سبتمبر ١٩٧٠ موعد وفاة الزعيم جمال عبد الناصر . أما المرحلة الثالثة التى ستكون موضوع الجزء الثالث من ١٧ أكتوبر عام ١٩٧٠ يوم أن آلت مقاليد السلطة دستوريا إلى الرئيس محمد أنور السادات وتحولت فيها الثورة من العسكرية إلى الشرعية الدستورية وبناء الديمقراطية .

ومن واقع ما تضمنه الجزء الأول والجزء الثانى اتضح عدة حقائق كانت غائبة تماماً، وإنما كشفتها الوثائق والمعلومات. منها أن عبد الناصر فى صراعه مع الشرق والغرب لم يكن داعية حرب وإنما كان يسعى لخلق شخصية مستقلة لمصر، ولكن الشرق والغرب تحالفا للتخلص منه وأجادا لعبة القط والفأر. يتعاديان ظاهريا ويتصارعان لإخفاء تحالفهما وقد أدرك عبد الناصر هذه الحقيقة بعد فوات الأوان يوم أن رفض الاتحاد السوفيتى مده بالأسلحة الهجومية عقب محنة هزيمته فى يونيو ١٩٦٧ وهنا أدرك عبد الناصر خطأ سياسته فراح يغازل الأمريكان ويستغل عقدة ذنب السوفييت، ولكنه أدرك أنه يسبح فى تيار عاصف وبحار عاتية هائجة ولكنها محكومة بارتباطات ومواثيق عقدت بين القوتين الأعظم سرا لم يعرف تفاصيلها وتوجهاتها، وأن ما كشفتته المعركة من واقع هذه الارتباطات والمواثيق السرية هى نقطة فى بحر، وأن ما خفى منها

أدهى وأمر ولكن عبد الناصر أدرك فى الوقت نفسه أن الشعب المصرى ومعظم الشعوب العربية ما زالت تضع ثقتها فيه وتنتظر منه الصمود فى وجه العاصفة الهوجاء الكاسحة، وتعقد عليه الأمل لإنقاذها من الهوة السحيقة التى سقطت فيها فجأة ودون مقدمات، ولذلك رفضت الهزيمة وطالبته بالعدول عن تنحيه عن السلطة.

ويذكر لعبد الناصر فى هذه المحنة أنه استجاب لرغبة الشعب وابتلع مقالب الاتحاد السوفيتى، وكظم غيظه لرفض القيادة السوفيتية منحه الأسلحة الهجومية واكتفى باستخدام ما قدمته من أسلحة دفاعية بنى بها قاعدة الصواريخ التى قاد بها حرب الاستنزاف الطويلة التى مهدت لحرب أكتوبر المظفرة، وكان عبد الناصر بعيد النظر ثاقب الفكر عندما رفض محاسبة المتسببين لهزيمة يونيو، وتحمل هو وحده وزرها أمام الشعب فامتص بذلك غضبه الذى فاق كل حد وبات يهدد بكارثة أعنف وأشد من كارثة الهزيمة، ولكنه شغل الشعب فيما بعد بمحاكمة المسئولين عنها عسكريا بعد أن استبدلهم بقيادة يتميزون بالعسكرية الصارمة والاطلاع على آخر تطورات الحرب نفسيا واستراتيجيا وتكتيكيا كونت العصب القوى الذى كان له فضل كبير فى نصر أكتوبر العظيم. واستطاع بهذا العصب القوى من إزالة كل آثار هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ واستطاع بهم أن يصلح ما انكسر ويرمم ما انهدم فى وقت قياسي رغم اشتداد المرض عليه بعد هذه الهزيمة، ولو امتد به العمر لمسح عار هذه الهزيمة. وأعاد عقارب الساعة إلى الأمام ويؤكد هذا الاستنتاج ما جاء فى المحاضر التى نشرها محمد حسنين هيكل فى كتابه «الانفجار ١٩٦٧» التى سجل عبد الناصر فيها أن الروس سيخسرون الحرب الباردة - وإن كان لديهم بليون قبيلة ذرية لم تستعمل - ما جاء على لسان عبد الناصر فى عام ١٩٦٧ تحقق فى نهاية الثمانينيات وأوائل التسعينيات - أى بعد ٢٣ عاما كما جاء فى

أقوال عبد الناصر أنه يعتقد أن المعركة الفاصلة مع إسرائيل ستجىء بعد سبع سنوات وقد تحققت نبوءته أيضا.

لم يكن عبد الناصر يضرب الرمل أو يفتح البخت، وإنما كان هذا استنتاجا طبيعيا بعد دراسته لعوامل هزيمته وموقف الروس وسيطرة الأمريكان عليهم. على أن السؤال الذى ما زال بغير إجابة قاطعة هو «هل كان تنحى عبد الناصر لإجراء تكتيكيا لامتنعاص آثار نكسة يونيو أم كان صادقا بالفعل فى التنحية؟». أن الأحداث والوقائع تثبت أن القضايا التى خالف فيها عبد الناصر ما توافق عليه أعضاء مجلس الثورة، أو ما نادى به عدد من أعضائه قد جرت عليه نكبات كان فى غنى عنها. فلو سمع رأى بعض أعضاء مجلس الثورة ومنهم عبد اللطيف البغدادى أنه من الأفضل بناء مصر وتقويتها قبل فتح ملف القضية الفلسطينية حتى نطالب بحقوقنا من موقع القوة خاصة، وأن البيان الثلاثى الذى أصدرته أمريكا وبريطانيا وفرنسا قد ضمن الحدود فى هذا الوقت، ولم تكن حدودا ضارة بالقضية كما حدث بعد. ولو أن عبد الناصر سمع رأى بعض أعضاء مجلس الثورة وفى مقدمتهم كمال الدين حسين أنه من الأفضل ألا نزع بقواتنا فى فياقي وقفار اليمن، وإنما نقود حرب عصابات فقط يمكن أن يحقق أهدافنا المرجوة من ثورة اليمن. وهى ترسيخ النظام الجمهورى والقضاء على الإمامة أو الملكية التى كانت قائمة وقتذاك. وخلاف هاتين القضيتين هناك أمور كثيرة لو كان عبد الناصر حسمها طبقا لرأى الأغلبية ما كانت نكسة اليمن ولانكسة يونيو.

والغريب أن عبد الناصر ارتكب كل هذه الأخطاء وهى تخالف طبيعته. فلم يكن داعية حرب كما يحاول البعض تصويره على هذا النحو دون الغوص فى التحليل المتكامل للأحداث التى تتابعت عليه وثورته وأهدافها ومراميها

الحقيقية الآجلة والعاجلة وأسبابها ودوافعها، حتى يعرفوا لماذا حارب عبد الناصر إسرائيل عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ وهل هو الذى بدأ بهذه الحرب أم كانت مفروضة عليه بهدف إذلاله وتقليم أظافره، وفى النهاية الخلاص منه، وكان عذره أن هدفه كان إقامة سلام يحفظ للعرب والفلسطينيين كافة حقوقهم بأقل الخسائر فى الأرواح والمعدات.

فى مذكرات محمد نجيب التى يصبر من كتبوا التاريخ على تجاهلها - أن بعض الإسرائيليين تفاءلوا عندما عرفوا أن عبد الناصر الذى كان على اتصال ببعض ضباط المخابرات الإسرائيلية فى حرب فلسطين هو أحد رجال الثورة - كما أكد محمد نجيب ومحمود رياض وزير الخارجية، والذى تولى منصب الأمين العام للجامعة العربية منذ ١٩٤٩ ما نقلته الصحافة العالمية حول المحادثات السرية التى جرت فى النقب بين عبد الناصر وإيجال آلون القائد الإسرائيلى آنذاك، وقصة ضابط المخابرات الإسرائيلية كوهينى الذى التقى بعبد الناصر خمس عشرة مرة أثناء الحرب للتمهيد لمفاوضات السلام، وما أكدّه الأمير الالى السيد طه الذى كان يطلق عليه الضيغ الأسود إظهاراً لشجاعته من أنه وعبد الناصر مثلاً الجانب المصرى فى مباحثات جرت مع اليهود.

كل هذه الشهادات والوثائق تؤكد جهود عبد الناصر من أجل السلام منذ عام ١٩٤٨ حتى وفاته. وهى وثائق حقيقية هامة تؤكد أن الغرب وإسرائيل لم يفهموا عبد الناصر، ولو فهموه ماكانت تلك الحروب التى اشتعلت وما كانت الأحداث اتخذت الشكل الذى اتخذته حتى يومنا هذا. على أية حال ستظل فترة حكم عبد الناصر صندوقاً مليئاً بالأسرار، وعند حل رموزها ستوضح الصورة الحقيقية لعبد الناصر، وستكون صورة ناصعة البياض.

لطفي عبد القادر





وكان نجما فى مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة الذى عقد فى أكرا عام ١٩٥٨ وفى الأمم المتحدة أثناء حضور الدورة الخامسة عشرة لها عام ١٩٦٠ وفى مؤتمر أقطاب إفريقيا الذى عقد فى الرياض فى يناير ١٩٦٠ .

هذا الأسلوب من جانب عبد الناصر أدى إلى أمور عديدة كانت سبباً فى هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ منها أن الخوف سيطر على الجميع ، وأصبح كل مسئول فى موقعه لا يتصرف إلا فى حدود ما يطلب منه . فتجمدت الإدارة الحكومية وسيطر عليها الروتين الممتد ، وخيم عليها الإهمال وأصبح الشغل الشاغل للعاملين البحث عن حقوقهم فقط ، وأما واجباتهم فأخبر ما يتطرق الحديث إليها . وزاد من هذا الخوف تلك التقارير المزيفة التى كان يلجأ إليها جهاز المخابرات بداع ومن غير داع - اللهم إلا الإذلال وفقدان الشخصية والإرهاب . كما أن عبد الناصر كان يستعين بأشخاص آخرين غير هؤلاء الموجودين فى مواقع العمل بالفعل . بحيث أصبح هؤلاء مسئولين فقط بحكم القرار الصادر إليهم وليس شك أن مجتمعاً هذا حاله . جماهير خائفة متحفزة ، وصراع ضار بين حكامه . كل يوم يسقط واحد منهم فى الساحة . وتمر الأيام والأمور تسير من سوء إلى أسوأ فضاعت مكاسب المراحل الأولى للثورة .

وأما الأمر الثانى الذى أقره أسلوب عبد الناصر فى هذه المرحلة فهو أن هذه الصورة شجعت المدنيين على رفض التعاون مع الثورة . كما حملت أعضاء مجلس الثورة على التخلّى عن الأمانة وأصبح منصب الوزير لا مطمح فيه . فكثير رفض قبوله خوفاً من خشية ما يحدث بعد قبوله إذ إن اختيار الوزراء لم يكن له قياس ثابت ، وكان الشعب يفاجأ بوزراء لا يعرفهم وليس لهم رصيد فى العمل العام وكثير تغييرهم وتبديلهم بلاسبب معقول لهذا التغيير أو التبديل . فالوزير الذى يقع عليه الاختيار إما أن يكون قوياً لأحد المتمتعين بثقة عبد الناصر ، أو يكون قد أحرق البخور للثورة نفاقاً وتزلقياً ورياء . ومن القصص الطريفة التى تأتى بأبلغ وصف لما نحن بصده من قصور أن صدق البشبيشى أجد رجال النيابة الكبار وقتذاك كان قد وقع فى حيرة من أمر اثنين من الأشقاء تدرجا فى المناصب

بسرعة مذهلة لا عن كفاءة أو علم، وأنه استمر يتابع أنباءهم لعله يعرف سر النعم التي تغدق عليهما بغير حساب، وبعد عام التقينا به فى القصر الجمهورى بالقبة وكان قد حضر ليسجل اسمه فى دفتر الزيارات مع رجال النيابة فى إحدى المناسبات للثورة، وإذا به يفاجئنى بقوله - لقد كشفت سر النعم التي اغدقت على الشابين اللذين تحدثنا من قبل عنهما . . فقلت له وكيف كان ذلك؟ . . فقال . . أنت تعرف أننى أقرأ صفحة الوفيات فى الأهرام بعناية. ففى يوم من الأيام وقع نظرى على اسم هذين الشابين فى نعى طويل فدققت النظر فيهما فعرفت أن خالهما أحد الوزراء من الصف الثانى للضباط الأحرار، وهو ذا حظوة كبيرة لدى عبد الناصر وقتذاك. وقال «ياسيدى يابخت من كان النقيب خاله» وأضاف إلى ذلك قوله: هل تعلم أن الوزارة التي فى الحكم الآن بها خمسة عشر وزيرا تربطهم صلة القرابة من مختلف الدرجات الأولى والثانية والثالثة، وأخذ يعد لى أسماء هؤلاء الوزراء، وصلة القرابة التي تربطهم جميعا فتولتني الدهشة والاستغراب من هذه المعلومات.



اقتصادية كنتلك التي تعاني منها الآن، وكانت البداية ما أشيع أيضا من وقوع خلاف حاد بين القيسونى ونائبه محمد أبو نصير، وأن هذا الخلاف سينتهى بترك القيسونى وزارة الاقتصاد، وأيضا استفسرنا - نحن مندوبى الصحف والإذاعة - من عبد الناصر عن حقيقة ما يشاع فى الشارع المصرى فإذا به يجيبنا - فى إصرار عجيب - بقوله : سيستمر القيسونى وزيرا للاقتصاد ما دامت الثورة قائمة ( . . . ) وظننا أن ما سمعناه من عبد الناصر سينهى الخلاف القائم بين القيسونى وأبو نصير لصالحه. ولكن كانت المفاجأة أيضا أن الوزارة قد أعيد تشكيلها ولم يتضمن تشكيلها الجديد اسم عبد المنعم القيسونى. . . وما حدث للباقورى والقيسونى حدث مع مجدى حسنين مدير مديرية التحرير. فقد أخذت الصحف تمجد فى مجدى حسنين مركزة على المجهود الرائع الذى بذله فى استصلاح آلاف الأفدنة من أرض الصحراء بأقل النفقات، وأن مديرية التحرير أسهمت بنصيب كبير فى المحصول الزراعى بالإنتاج الوفير الذى غلته. وفى هذه الأثناء كنا نسمع همسا يدور يؤكد أن مشروع المديرية فشل تماما وأن ما أنفق عليه من أموال طائلة ضاعت هباء وأن نفقات استصلاح الفدان الواحد فاقت كل جد ممكن وأن ما يراه عبد الناصر فى رياراته المتكررة لمديرية التحرير من إنتاج ليس من إنتاج مديرية التحرير، وإنما يجلبه القائمون على شئون المديرية، من أماكن أخرى كمحاولة لتغطية المصاريف الباهظة التى أنفقت على المديرية، استفسرنا من عبد الناصر كذلك فنفى ما قلناه نفيا قاطعا، ولكن بعد فترة ترك مجدى حسنين مديرية التحرير وعين سفيراً فى الخارج. ربما عندما تأكد صدق الإشاعة، ولكن لأنه من أهل الثقة لم يتركه النظام بدون عمل بسبب ما ارتكبه من أخطاء فى عمله كمدير لمديرية التحرير، أما المهندس محمود يونس فقد أثنى عبد الناصر على كفاءته ثناء مستطاباً فى العديد من خطابه للشعب، وضرب به المثل على الخبرة المصرية التى فاقت الخبرة الأجنبية، وأنه استطاع إدارة قناة السويس بعد التأميم بكفاءة نادرة أدهشت العالم كله وأعادت الثقة فى القناة. بحيث أخذت تدر على البلاد ما يساوى ضعف ما كانت تدره قبل التأميم. وبعد مدة أقصى عن منصبه على أثر إشاعات دارات حوله وصلت إلى حد الحقيقة، وأنا أذكر أن عبد الناصر بعد أن عين الدكتور راشد البراوى مديراً للبنك الصناعى، وأشيع حوله

أيضا شائعات وعزل. أنه قال فى إحدى جلساته المغلقة مع أهل الثقة . . . ماذا أصنع وأنا كل من أثق فيهم تبين فيما بعد أنهم ليسوا أهلاً لهذه الثقة هل أغير شعب مصر بشعب آخر.

والسؤال الآن: هل ثقة عبد الناصر بالناس كانت تتزعزع بمثل هذه السرعة، أم البيانات التي كانت تصله لم تكن تتسم بالصدق والأمانة؟ أم أن هؤلاء الأشخاص - ومتهم من تميز بالعلم والقدرة يروقون له ما داموا ينفذون ما يملأ عليهم، ولا يروقون له إذا عبروا عن رأيهم، وخاصة إذا لم يصادف رأيهم هوى فى نفسه؟ أم أن الانفصال ورد الفعل هو الذى كان يحكم تصرفاته؟ هل هذه الشخصيات بريئة مما نسب إليهم. سواء أكانوا عسكريين أو مدنيين، وأنهم كانوا ضحية دولة التقارير التي كانت سائدة وقتذاك، وأن عبد الناصر برىء من ذنبهم؟ هل كان الشرفاء منهم ضحية التآمر وتصفية الحسابات؟ بالقطع فإن المدنيين منهم كانوا لم يكادوا يتولون منصبا حتى يغرقوا فى الحصول على المال بأية وسيلة وبأسرع الطرق. تحسباً للمستقبل المظلم الذى يتظرهم عندما يستيقظون من النوم ليقروا نبا إقالتهم أو إحالتهم إلى المعاش من غير ما ذكر للأسباب والدوافع، وعلى أية حال فإن هذه نقطة ظلت دون إجابة حتى بعد انتهاء عهد عبد الناصر، وظلت الاستقالات والإقالات لغزا لم يحله أحد - على الرغم من كتابة العديد منهم مذكراته ولكنه لم يتعرض لأسباب إقالته أو إبعاده، وإذا تعرض فإنه لا يكتب الأسباب الحقيقية - كما أنه لم يوجد من يعرف هذه الحقيقة وأنه موجود وإنما أثر السلامة بسكوته . . .

هذه نقطة لو المجلى الغموض المحيط بها ربما كشفت أسراراً جديدة من أسرار ثورة يوليو تكشف حقائق ليست معروفة بعد . . .

### الخطاب الذى قدم عبد اللطيف البغدادى استقالته بسببه

كان عبد اللطيف البغدادى عضو مجلس الثورة ونائب رئيس الجمهورية واحدا من أعقل وأرزن أعضاء مجلس الضباط الأحرار . نال احترام الجميع وهو يحمل الأمانة مع عبد الناصر وهو خارج الحكم بعد أن قدم استقالته وقبلت . كما كان بغدادى يتميز بالأمانة الشديدة فى عمله وتعامله ، ولذلك لما طلب منه أحد المواطنين فى رسالة له نشرتها أخبار اليوم أن يحدد عدد استقالاته لم يعط لنفسه ما تستحقه ، وإنما ذكرها مجردة من التمجيد بمواقفه - كما كان يفعل غيره . فقد نشرت أخبار اليوم فى شهر أغسطس من عام ١٩٧٥ رده الذى ذكر فيه أن أولى استقالاته كانت بسبب موقف مجلس قيادة الثورة من محمد نجيب فى أزمة ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ فقد كان الوحيد الذى اعترض على إقالة محمد نجيب ، ولكنه خضع لرأى الأغلبية التى أصرت على إعفائه . لكن لما عاد مجلس الثورة ويبحث أمر إعادته إلى منصبه نزولا على رأى الجماهير التى قامت بمظاهرات صاخبة فى شوارع القاهرة مؤيدة له . عارض هذا التراجع وأيد رأيه جمال سالم . لكن باقى أعضاء المجلس قرروا الرجوع عن قراراتهم الأولى وفى ١٤ إبريل سنة ١٩٥٤ - والكلام لعبد اللطيف البغدادى قدم استقالته ثانية فى أعقاب مناقشات حادة وصاخبة وعنيفة فى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة بينه وبين جمال عبد الناصر . وكان قد اجتمع لبحث أسباب التفكك الذى حاق بأعضاء المجلس على أثر الصراع والخلاف مع محمد نجيب وانعكاس ذلك على الشعب والجيش ، وقد كانت تلك الفترة من أعصب الفترات التى مرت بها الثورة فى مسيرتها . بل كادت أن تؤدى إلى فشلها لولا أن عبد الناصر قضى على آثارها وأحنى رأسه للعاصفة إلى أن مرت ، وبعد ذلك أخذ يعد ويخطط لكى لاتقع الثورة مرة أخرى فى مثل هذا الموقف ، وفى ديسمبر عام ١٩٥٧ تقدم بغدادى باستقالته من رئاسة مجلس الأمة ، وبعد أشهر قليلة من تشكيل أول مجلس نيابى بعد قيام الثورة . إذ قد تم تشكيله فى ٢٢ يوليو من نفس العام وألقى عبد الناصر خطابا بهذه المناسبة أعلن فيه أن هدف الثورة السادس بإقامة حياة ديمقراطية سليمة قد تحقق . وقال كان موعدنا مع نواب الشعب منذ ٥ سنوات ، ولكننا خفنا من حرب الاستقلال وحرب المؤامرات وحرب تثبيت

الاستقلال، وحدد فى هذا الخطاب أساسيات سياسته المستقبلية فى قوله: ثلاثة سبل للأمان. اتحاد يصون جبهتنا فى الداخل، وعدم انحياز يصون جبهتنا الداخلية والخارجية، وقومية عربية تضمن اتساع جبهة القتال على أى معتد على إحدى الدول العربية، وقد تقدم بغدادى باستقالته رغم أن الإحساس كان تاما ظاهريا بأن الثورة ستلتزم بقواعد الديمقراطية وأصولها. ولكن يبدو أن الذى حدث كان عكس ذلك كله. فقد أقر بغدادى أنه قدم استقالته عندما أحس بأن هناك اعتداء على الدستور، وذكر أن كمال الدين حسين قدم استقالته تضامنا معه.

ومن واقع هذه الاستقالات الثلاث التى ذكرها عبد اللطيف البغدادى ردا على رسالة قارىء تبين أن الأمور بالنسبة له ظلت هادئة منذ قيام الثورة حتى أزمة مارس عام ١٩٥٤ ولم تمض أيام حتى اضطربت فقدم استقالته الثانية، ثم هدأت الأمور بالنسبة له بعد ذلك لأكثر من أيام حتى اضطربت فقدم استقالته الثانية ثم هدأت الأمور بالنسبة له بعد ذلك لأكثر من ثلاث سنوات إلى أن قدم استقالته الثالثة عام ١٩٥٧ عندما أحس بالعدوان على الدستور وهو رئيس مجلس الأمة المنوط به الحفاظ على هذا الدستور، ولكن هذه الاستقالات مرت دون حدوث أزمة ظاهرة بينه وبين عبد الناصر. وفى رأى أن استقالات بغدادى كانت صامتة لأنه كان حريصا على استمرار الثورة أكثر من حرصه على نفسه. فلم يشأ أن يستخدم هذه الاستقالات لإثارة المشاعر ضد الثورة وضد عبد الناصر وقد حفظ له عبد الناصر هذا الجميل حتى أنه اتخذ إجراءات لإعادة بغدادى إلى الحكم بعد أن بعد عنه فترة طويلة، ولكن المنية عاجلته قبل أن تثمر هذه الإجراءات. والاستقالات الثلاث مرت دون ردود فعل ظاهرة، ولكن استقالة بغدادى عام ١٩٦١ هى التى سمعت. لأنه قدم الاستقالة ولزم بيته. وأخذ الجميع يتساءل عنه فى اجتماعات عقدت ولم يحضرها وكانت استقالته هذه هى الوحيدة التى عرفت أسبابها. فالذى حدث أن جمال عبد الناصر أرسل خطابا دوريا إلى كل الوزراء ومن بينهم بالطبع عبد اللطيف بغدادى ذكر فيه أنه لوحظ وبكل أسف فى الأيام الأخيرة الجرى وراء الصحف والصحفيين وتوزيع نشرات عليهم تهدف لدعايات شخصية ولأن بغدادى لم يكن من هؤلاء الوزراء الذى يعينهم

الخطاب رد عليه بخطاب شديد اللهجة نفى فيه كل ما جاء فى الخطاب وأثار مسألة الثقة التى انعدمت بين أعضاء مجلس قيادة الثورة، وذكر فيه أن الذين يستخدمون الصحافة والإذاعة للدعاية ليس هو، وإنما الذى لا تخلو صحيفة أو نشرة إذاعة من حديث له أو تصريح أو خبر. بل والذين واطبوا على الإدلاء بأحاديث وتصريحات لصحف ووكالات وإذاعات وتليفزيونات أجنبية أوروبية وأمريكية وعربية. والمقصود من هذا الكلام هو عبد الناصر نفسه وضمن خطابه هذا استقالته. أما كمال الدين حسين فقد اتخذ إجراء آخر فلم يقبل الخطاب بالمرّة وتوجه بنفسه فى عصبية واضحة وثورة عارمة إلى برج العرب حيث يقيم عبد الناصر وقتذاك، وأعاد إليه الخطاب محتجا على صيغته وما ورد فيه. والواقع أن عبد الناصر كان على حق فى كل كلمة وردت فى خطابه، وإنما لم يكن على حق فى تعميمه على الجميع، ومنهم الغالبية التى لم ترتكب هذا الخطأ، وكان يمكن أن يرسله إلى وزير بعينه أو وزيرين أو ثلاثة من الذين بالغوا فى تصريحاتهم مبالغاة شديدة حول ما تم من إنجازات ومشاريع، وكان منهم وزير البترول الذى كان يدلى بتصريح شبه يومى عن اكتشاف بئر جديدة للبترول. بحيث لو صحت هذه التصريحات وقدرت التقدير الصحيح لأصبحنا دولة من الدول المصدرة للبترول. ولكننا نحن لم نكن كذلك. وكانت هذه التصريحات مخالفة للواقع من الألف للياء وتكلم عليها الشعب فى مجالسة وندواته. . . . ويبدو أن ذلك أثار حفيظة عبد الناصر، ولكن كان يكفى أن يلفت نظر هذا الوزير المستولى إلى الخطأ الذى وقع فيه وينتهى هذا الموضوع، على أية حال كان الخطاب بالنسبة لبغدادى بداية العد التنازلى لبقائه فى الحكم. .





إلى الوزير أو الوزيرين اللذين أغرقا في الإدلاء بتصريحات غير منطقية. بل لم يكن عبد الناصر في حاجة إلى مثل هذا الخطاب. فالرقابة على الصحف والإذاعة كانت مفروضة وكانت تمارس سلطاتها بشكل رهيب تمنع كل الأنباء المطلوب منع نشرها، بل كانت كثيراً ما ترسل تعليماتها إلى الصحف بمنع نشر أنباء الوزير الفلاني أو تقليل النشر من أنباء وزير آخر وكانت الصحف تلتزم بهذه التعليمات حرفياً، وكانت الإذاعة لها دور مشهود في هذا الشأن إذ كانت كل أخبارها تعرض على الرقابة تحجز منها ما تحجز وتمنع ما تمنعه. وإذا رأت الرقابة فيما أذيع بعد ذلك ما يمنع أصدرت توجيهاتها بتنفيذ هذا الرأي، وكان كل ذلك بمثابة تنبيه للصحف للالتزام بما تريده الرقابة وكان من يخالف ذلك يتعرض للمساءلة وربما للرفق، وعلى أساس ذلك لم يكن عبد الناصر في حاجة إلى إرسال هذا الخطاب الذي كان بداية الخلاف بينه وبين بغدادى، وبداية للخلاف بينه وبين كل العسكريين وعدد من المدنيين الذين آلمهم هذا الإجراء... على أية حال لزم عبد اللطيف بغدادى منزله بعد أن أرسل خطاب استقالته لعبد الناصر ومر يوم أو يومان أو ثلاثة، وفوجئنا نحن الصحفيين ومندوبى الإذاعة والوكالات أن عبد الناصر قام بزيارة بغدادى فى منزله، وعلمنا أن نتيجة هذه الزيارة كانت إنهاء الأزمة بينه وبين بغدادى، وتقصينا الأنباء فعلما أن عبد الناصر قام بزيارة بغدادى وأنهى الأزمة عندما نقل إليه أن هناك كلاماً يتردد بين أفراد القوات المسلحة على جانب كبير من الأهمية والخطورة منسوب إلى بغدادى يقول: «إنى حاكمت ناساً لأنهم لم يقولوا للملك لا وأخشى أن يأتى من يحكامنى لأننى لم أقل لعبد الناصر لا»، ولم يفوت عبد الناصر لبغدادى هذا الأمر، ومرت الأيام وإذا بنا نفاجأ بتسريح ضباط الطيران، وبالذات دفعة بغدادى الذين تخرجوا معه وحرنا فى تفسير هذا القرار وكنا نتساءل: هل هو لإنهاء نفوذ بغدادى فى القوات المسلحة؟ أم أن هذا الإجراء اتخذ على إثر مؤامرة قام بها سلاح الطيران على عبد الناصر واتهم فيها زملاء بغدادى فى سلاح الطيران؟ لكن لم نصل إلى جواب فى هذا الوقت، ولكن الأيام أثبتت فيما بعد أن القرار اتخذ لقطع صلة بغدادى بالقوات المسلحة حتى لا يصبح له قوة بين أفرادها تسانده فى أزماته مع عبد الناصر، فقد ناقش مجلس الثورة فيما بعد الثورة فى اليمن، ولم يؤيد بغدادى وكمال الدين

حسين إرسال الجيش المصرى النظامى لتأييد الثورة هناك، فضلاً حرب العصابات تأييداً للثورة، ولم يخل النقاش من مشادة بين عبد الناصر من ناحية وبغدادى وكمال الدين حسين وغيرهم من أعضاء مجلس الثورة من ناحية أخرى، وظل عبد الناصر كاظماً غيظه إلى أن اختار الوقت المناسب لقبول استقالة بغدادى وكمال الدين حسين، ولكن بعد أن مهد الأرضية لقبول هذه الاستقالات بحيث ألا تحدث صدى فى الرأى العام. وجاء هذا الوقت عندما قرر تعيين نائب أول له يتولى السلطة فى حالة وفاته أو عجزه أو عدم قدرته على العمل حسب ما جاء فى الدستور، وكانت الأصابع تشير إلى بغدادى على أساس أنه أقدم أعضاء مجلس الثورة فى الرتبة العسكرية، وكانت هذه الأقدمية فى مثل هذه الحالات ملزمة حتى وفاة عبد الناصر ولكنه. أى عبد الناصر شاء أن يكون عبد الحكيم عامر هو النائب الأول بوصفه المسئول عن القوات المسلحة، وأصدر قراراً بذلك، وكان هذا القرار نهاية لحياة بغدادى السياسية وتخليه عن حمل الأمانة مع عبد الناصر، وظل متمسكاً بالتقاليد الأصيلة والعادات الرفيعة والمواثيق الموضوعة لاتباعها فى مثل هذه الحالات إلى حين وفاة عبد الناصر فى سبتمبر عام ١٩٧٠.

## عبد الناصر وهموم القضية الفلسطينية

كانت القضية الفلسطينية محور اهتمام ثورة يوليو منذ أن انطلقت شرارتها الأولى. وكان لأعضاء مجلس ثورتها آراؤهم في مواجهتها. الأول عدم إثارة غضب إسرائيل والتفرغ أولا لبناء مصر القوية القادرة على الدفاع عن هذه القضية، ولكن إسرائيل لم تمهل أعضاء مجلس الثورة لتنفيذ هذا الرأي وبدأت بالعدوان، وكان عبد اللطيف البغدادي المتحمس الأول لهذا الرأي. والثاني: مواجهة العالم على الفور بالقضية والسعى للحصول على تأييد تلك الحقوق وإجبار إسرائيل على تنفيذها بالضغط الدولي المكثف عليها، وكان عبد الناصر المتحمس الأول لهذا الرأي. وأيا كان الأمر بين أعضاء مجلس الثورة فإن إسرائيل لم تمهلهم لتبادل الرأي حيث كررت اعتداءاتها على الأراضي المصرية التي بلغت وحشية بالغة بسبب قصور السلاح المصري في مواجهة السلاح الإسرائيلي المتطور، ولكن عبد الناصر رغم هذا التصور لم يكن يترك ثأر مصر فكل عدوان كانت تقوم به إسرائيل كان يرد عليه بعدوان مماثل وربما أشد منه. فقد سألناه مرة وكانت إسرائيل قد قامت بعدوان وحشي على الصبحة فضحك وقال سنتقم قريباً. وفي إحضائية إذيعت أن إسرائيل اعتدت على مصر ١١٢ مره خلال ثمانى سنوات وكان طبيعياً أن يسد عبد الناصر النقص فى سلاح الجيش. خاصة بعد أن حملت الأنباء أن إسرائيل عقدت صفقة سلاح مع فرنسا تعزز بها قواتها المسلحة. فاندفع يبحث عن السلاح، ولما رفض الغرب تزويده به لجأ إلى الشرق وكانت صفقة السلاح التشيكية التي أثارت حفيظة الغرب عليه عام ١٩٥٥ وقرر الغرب منذ هذه اللحظة التخطيط لعزل عبد الناصر أو إبعاده. ولم يترك عبد الناصر غضب الغرب لعقد هذه الصفقة، وإنما كان يفضحه بتصريحات تثير حفيظته أكثر، وتؤكد شخصية مصر المستقلة فى المجال الدولى وتفصح أسطورة التوازن توازن القوى فى الشرق الأوسط التى كان يتحدث عنها الاستعماريون الغربيون، وكان ينذر إسرائيل بين حين وحين بأنها إذا لم تتوقف عن العدوان فإنه سيعلمها حرباً شاملة، ولا يمكن لإسرائيل أن تتحكم فى قرارنا أو تفرض علينا إرادتها، وكان دائماً يضيف مبدأ يؤمن به بعد كل إنذار: «سنسالم ونعادي من يعادينا وسنحصل على السلاح من أى مكان وبأى كمية نشاء ولن يسيطر علينا



الإذاعة البيان. وبينما أنا فى كابينة التليفون أملئ البيان إذ بى أفاجأ بالمرحوم على أمين يدفع على باب الكابينة فى عصبية شديدة ويطلب منى التوقف عن إرسال البيان إذ إن البيان قد تغير. ولكنه لما قرأ البيان عرف أنه آخر بيان صادر عن المؤتمر وقال لى: استمر لقد خفت عليك أن تضيع الإذاعة بيانا غير البيان المطلوب إذاعته، وشكرته وكانت الحادثة بداية علاقة طيبة ربطتنى بالمرحوم على أمين، ورادت وتعمقت عندما تزامننا فى رحلات عمل قام بها عبد الناصر فيما بعد إلى اليونان ويوغسلافيا وغيرهما. فقد كان على أمين يشغل فى هذه الفترة منصب رئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة جريدة الأهرام ولايفوتنى هنا واقعة أخرى ما رالت ماثلة فى ذهنى تماما برغم مرور أكثر من ثلاثين عاما عليها. فبينما كنت أتجول فى مقر المركز فى بلجراد إذ بشاب يتقدم لى بأدب جم يقول لى أنت مصرى؟ فقلت له نعم قال لى إننى أحد الفلسطينيين المعذبين بسبب اضطهاد إسرائيل لنا فأخذتنى الشهامة ودعوته لتناول قهوة معى، ولكن أحد زملائى من الصحفيين السوريين الذى كان عضوا فى وفد الجمهورية العربية المتحدة للمؤتمر نبهنى بأن هذا الشاب ليس فلسطينيا وإنما هو يهودى. ولكى تتأكد حاول أن ترفع سترة جاكته. سترى لحمة إسرائيل وفعلا فعلت وشد ما كانت دهشتى حينما علمت أنه يهودى، وأصبحت فى موقف لا أحسد عليه. هل استمر معه وأشرب معه القهوة أم كيف أنصرف؟ وكانت العلاقات متوترة وممنوع علينا الاتصال بهؤلاء الصحفيين اليهود، وفعلا اعتذرت له اعتذاراً رقيقاً ولم أشرب معه القهوة. واستكمالا لجهود عبد الناصر لنصرة القضية الفلسطينية فلا بد أن نسجل لعبد الناصر بالفخر أنه هو الذى وحد بين الفصائل الفلسطينية المتناحرة. وكان هذا التناحر نقطة ضعف فى القضية. فهو الذى أنشأ منظمة التحرير الفلسطينية التى ضمت معظم الفصائل الفلسطينية، وهو الذى سمح لها أن تتخذ من القاهرة مقراً لنشاطها، وكان هذا نقطة تحول فى مسيرة القضية الفلسطينية حتى يومنا هذا.



مرور السفن الإسرائيلية فى قناة السويس ويفرض عليه الصلح مع إسرائيل ، ولكن عبد الناصر رفض واستمرت السفن الإسرائيلية ممنوعة من المرور فى قناة السويس ، واستمرت إسرائيل كيانا شاذاً فى المنطقة كرأس جسر للاستعمار فيها، يذل الغرب قصارى جهده لحمايتها من أى عدوان ويقويها لتصبح قوة إرهاب لم تسول له نفسه الاعتداء عليها .

ومن أجل حماية إسرائيل شارك الغرب معها فى عدوانها على مصر عام ١٩٥٦ ولم يكن هدف العدوان احتلال الأرض بقدر ما كان هدفه تدمير القوات المسلحة المصرية بأفرادها ومعداتها، واتخذ الغرب خط رجعة له عندما جعل الولايات المتحدة لاتشارك معه فى العدوان حتى إذا فشل تقوم هى بدور المخفف لهذا الفشل مع محاولة جر ثورة يوليو وعبد الناصر إلى حظيرتها والسيطرة عليها . بحيث لاتنمو قوتها العسكرية حتى لاتهدد إسرائيل، ولما فشل العدوان الثلاثى فى تحطيم القوات المسلحة المصرية قامت الولايات المتحدة بالدور المرسوم وتوددت لمصر الثورة، وكان قرارها بانسحاب القوات المعتدية من الاراضى المصرية ، ولكن هذا التودد لم يأت ثماره مع عبد الناصر وعاد الغرب بالتواطؤ مع الولايات المتحدة إلى التخطيط من جديد لاصطياد القوات المسلحة المصرية مرة أخرى وتدميرها بعد أن أفشل عبد الناصر هذا المخطط خلال العدوان الثلاثى ، وأعطى أوامره بانسحاب القوات المسلحة قبل محاصرتها منعا لتنفيذ مخطط الغرب المرسوم . . . وقد اتخذ عبد الناصر هذا القرار عندما دخلت الطائرات البريطانية الثقيلة النفاثة فى المعركة بدون علم المشير عبد الحكيم عامر القائد العام لهذا القوات . حتى أنه كان يشجع هذه القوات على الصمود فى المعركة فى حين تجرى عمليات الانسحاب منها، واعتبرت مصر ما حدث فى معركة بورسعيد نصرا مؤزرا لها، واعتبرته إسرائيل درسا مفيدا لمخططاتها ، وبدأت تعد العدة لمحاصرة مصر - عبد الناصر من جديد بعد العدوان، لتمنع نمو قواتها المسلحة . خاصة سلاح الطيران الذى لو كان موجودا فى معركة بورسعيد لما قدر لإسرائيل احتلال الارض وتنفيذ مخطط تدمير القوات المسلحة المصرية - مع التفكير فى كيفية حصار مصر اقتصاديا حتى لاتنمو اشتراكيتها وتثمر، فكان بناؤها لخط أنابيب بين إيلات والبحر الأبيض المتوسط ليكون بديلا لقناة السويس لنقل بترول إيران الذى كان شاهداً على خلاف دائم مع

عبد الناصر، ورأت إسرائيل استثمار هذا الخلاف فى حصار عبد الناصر، فوثقت علاقاتها مع إيران وغيرها من الدول الصغيرة كتركيا وأثيوبيا. لا للدخول فى حلف مع هذه الدول علنا - كما تكشف فيما بعد من وثائق البيت الأبيض التى أشار إليها محمد حسنين هيكل فى كتابه «١٩٦٧ الانفجار» وإنما فى إطار تحالف غير معلن ليكون سدا أمام طوفان الناصرية المتحالفة مع الاتحاد السوفيتى. كما كان يمكن استخدامه فى وقت من الأوقات للحد من مطامع عبد الناصر وإحباط خطته. بل يمكنه فى وقت من الأوقات استخدامه فى تصفيته الناصرية عندما تسمح بذلك الظروف، وهذا الحلف فى تكوينه لا يختلف عن حلف بغداد الذى عارضه عبد الناصر ومنع قيامه، ولكن فى هذا الحلف - الذى لم يبد أن إسرائيل والغرب لم يتخليا عنه حتى يومنا هذا ١٩٩٠ أى بعد ما يقرب من ٣٤ عاما تفكيراً ذكياً، فتركيا باشتراكها فى الحلف يمكن أن تكون رادعاً لسوريا، وإيران رادعاً للعراق، وإثيوبيا رادعاً لدول القرن الإفريقى المؤيدة للناصرية، ومما يثبت أن هذا الحلف ما زال قائما المساعدات التى قدمتها إسرائيل لإيران فى حربها الأخيرة مع العراق، وتواطؤ الولايات المتحدة فى هذه المساعدات الذى كادت أن تطيح بحكم ريجان فى الولايات المتحدة، ومعارضة إسرائيل الحالية لاردياد النمو المسلح للقوات العراقية وتهديدها لسوريا كلما حصلت على ما يدعم قواتها المسلحة من الطائرات والصواريخ وغيرها، ومما يثبت أن هذا الحلف ما زال قائما ما أثير فى الفترة الأخيرة من التعاون الوثيق القائم بين إسرائيل وإثيوبيا بهدف بناء سد على فرع النيل الأزرق النابع من إثيوبيا للتحكم فى المياه الواردة لمصر والسودان. وما أشيع عن وجود اتفاقات أخرى عقدت بين إسرائيل وإثيوبيا تهدف إلى منع تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة عربية وأنها تمد أثيوبيا بالخبراء والسلاح لتحقيق هذا الهدف - أى أن الحلف الذى أقيم لمحاصرة ثورة يوليو بعودته عام ١٩٥٦ هو نفسه الموجود اليوم، ولكن لما فشل هذا الحلف فى تدمير عبد الناصر وثورته عادت إسرائيل بمعاونة الغرب إلى التخطيط للعدوان على مصر وتدمير قواتها المسلحة منفردة هذه المرة. لعلها تنجح فى تدمير عبد الناصر وثورته، ويحول الكابوس الذى يقلقها ليل نهار. أما متى خططت إسرائيل لهذا العدوان وكيف؟ فلذلك قصة أخرى.

## متى خططت إسرائيل لعدوان ١٩٦٧؟

لم يكن موسى ديان - أشهر رجل عسكري على حق عندما قال إن المصريين لا يقرأون «مشيرا» إلى أن خطة إسرائيل لعدوان عام ١٩٦٧ قد نشرت بالكامل والتفصيل في الصحف، ذلك لأن المصريين يقرأون ويهتمون بكل ما ينشر عن إسرائيل. لأن ذلك شاغلهم الوحيد ومهمتهم الأساسية والجوهرية، والحقيقة أن رجالنا السياسيين والعسكريين وغيرهم قد تدارسوا ما نشرته الصحف عن خطة إسرائيل، ولكنهم خافوا أن يكون ذلك فخا لهم نصبته إسرائيل، ولذلك تصرفوا على أن ما نشر ربما يكون الخطة الفعلية وربما يكون تمويهها، ولكن الذى فات موسى ديان أن ما نشر في الصحف والذى يشير إليه لم يكن تخطيطا إسرائيليا خالصا، وإنما كان تخطيطا إسرائيليا - بريطانيا تحت رعاية الولايات المتحدة، ولما عرض على فرنسا لم توافق عليه، وإن إسرائيل خططت للعدوان على مصر عقب جلائها عن بورسعيد عام ١٩٥٦، إذ أن إسرائيل لم تنجح في تحقيق هدفها الذى تسعى إليه فى كل عدوان تقوم به، وهو تدمير القوات المسلحة المصرية بالكامل. إذ إن تنامي هذه القوات مصدر قلق وإزعاج لها، فهى وحدها القادرة على منعها من احتلال الأرض بالقوة وتنفيذ مخططاتها الاستعمارية الاستفزازية الاستيطانية فى الأرض الفلسطينية، والاستيلاء عليها، وتوطين اليهود المهاجرين إليها بين ربوعها، ولذلك لو دققنا فى عدوانات إسرائيل على الأرض العربية نجد أنها تبدأ محاولة غزو مصر، وأن الفترة الزمنية بين كل عدوان وعدوان هى سنوات لا تتجاوز الإحدى عشرة سنة فى الأعم الأغلب، فحربها الأولى كانت عام ١٩٤٨ والثانية كانت عام ١٩٥٦، والثالثة كانت عام ١٩٦٧ وأخيراً كان نصر أكتوبر عام ١٩٧٣، والفترة الزمنية بين كل عدوان وعدوان هى فترة تطول وتقصر حسبما تكون إسرائيل على استعداد لخوض الحرب ومتأكدة من نصرها فيها، وبعد أن تربط مع سائر القوى فى العالم وليس الولايات المتحدة وحدها المتعهددة بحمايتها والدفاع عنها ضد أى عدوان، وإنما مع سائر القوى الأخرى لتضمن على الأقل تحييدها وعدم دخولها فى هذه الحرب، وقد أكد هذا المبدأ محمد حسنين هيكل وهو يذيع أسرار نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ من واقع الوثائق. حيث إن كل القوى فى إسرائيل وافقت

على الدخول فى الحرب عندما تأكد الجميع من عسكريين وسياسيين . أن التدخل السوفيتى مستبعد أو عندما حصلوا على تعهد بذلك ، وأما الولايات المتحدة فمن واقع ما نشره محمد حسنين هيكل فى كتابه الانفجار ١٩٦٧ يؤكد أن الولايات المتحدة أعدت لهذا العدوان مع إسرائيل وباركته حتى أن الرئيس الأمريكى جونسون آنذاك أعلن عن سعادته إذا بدأت إسرائيل الخطوة الأولى فى هذه الحرب .

على أن ما أريد توضيحه أن التخطيط الإسرائيلى - الإنجليزى للعدوان على مصر كانت تفاصيله موجودة لدى صانعى القرار قبل ما تشير إليه الصحف الذى اتهم موسى ديان بسببها المصريين بأنهم لم يقرءوها ، فقد أرسلت تفاصيل هذه الخطة إلى وزارة الخارجية المصرية من سائر العواصم الهامة فى العالم . . . لندن . . . واشنطن . . . باريس . . . بيروت وغيرها ، وقد كنت شاهد عيان على ذلك ، ففى شهر يوليو من عام ١٩٦٤ أى قبل العدوان بحوالى ثلاث سنوات أرسلت برقية بالشفرة من بيروت إلى القاهرة تقول إن هناك مخططا لإنجليزيا أمريكيا يعد للمنطقة . وهذا المخطط وضع بعلم إسرائيل لأنها هى محور هذا المخطط ، وقد عرضت إنجلترا وأمريكا المخطط المذكور على فرنسا ولكنها رفضته وقامت بإبلاغه إلى البابا بولس السادس الذى أبلغه بدوره إلى البطريرك المعروش الذى أبلغه بدوره إلى الحكومة اللبنانية ، ويهدف المخطط أولا : تقوم إسرائيل باعتداءات على الحدود بينها وبين البلاد العربية وأن تكون هذه الاعتداءات واسعة النطاق على إحدى الدول العربية - ولتكن سوريا - وتتوغل القوات الإسرائيلية فى أراضيها بسرعة حتى تحتلها تماما ثم تبدأ المساومات ، وهذه المساومات تكون على النحو التالى : إعطاء جزء من سوريا إلى تركيا وجزء إلى لبنان على أن يتنازل لبنان عن صيدا وصور إلى إسرائيل . ثانيا : تعاون إنجلترا إسرائيل بالسلاح والعتاد تحت إشراف الولايات المتحدة من غير دخول ظاهر فى المخطط من جانب أمريكا . بحيث إذا فشل المخطط تكون هى حلقة الوصل بين العرب وإسرائيل لإصلاح الموقف الذى يكون قد أفسده الاعتداء الإسرائيلى - العسكرى . . . وبعد أيام وافت بيروت القاهرة بأهداف أخرى لهذا المخطط . ففضلا عن أنه يهدف إلى تدمير القوات المسلحة المصرية عن آخرها . فإن النية منعقدة إلى تقسيم المنطقة بحيث يتجمع

المسلمون على بعضهم. والاكراد والدرور كل على حدة فى دولة مستقلة، وأن يصبح لبنان وطناً مسيحياً ليعطى شرعية لقيام إسرائيل كوطن لليهود، ومن بين المعلومات التى وصلت القاهرة من بيروت أن الحديث قد تجدد عن فصل جبل لبنان عن الجنوب والشمال، وهما المنطقتان المسلمتان واتخاذ جونية عاصمة للوطن المسمى بدلا من بيروت، وقد أعدت لأن تكون ميناء على البحر الأبيض وعاصمة للوطن المسمى مجهزة بكل ما يلزم العاصمة، كما تجدد الشعور عند المسيحيين بأن لبنان وطن قومي مسيحي أولا، ثم وطن عربي ثانيا، وهناك ما يؤكد أن جميع الاديرة فى بيروت قد اتخذت كمخزن للسلاح استعداداً للمستقبل. وقد لوحظ فى الفترة الأخيرة أن جميع المتقدمين إلى القرعة العسكرية يختار منهم أكثر من ٧٠٪ مسيحيين، وذلك كخطوة للتغلب على الحقيقة التى تقول إن معظم الجيش العامل فى لبنان مسلمون، وأن هذا يهدد العمل من أجل الوطن القومى المسمى المنشود. كما أن هناك كلاما يتردد قد يكون مبالغاً فيه، وهو أن فؤاد شهاب يعمل من أجل هذا الوطن. وأن الدليل على ذلك أنه رضى لطلب المجلس المحلى ولم يحضر مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى القاهرة وقتذاك، وأن العمل على تجديد فترة ولايته إنما القصد منها التمكين لقيام الوطن المسمى المنشود . . . إننا نكشف كل هذه الأسرار لندلل لموشى ديان أن المصريين لديهم كل المعلومات السرية وغير السرية، والخطط العدوانية والخطط السياسية، وأن قوله أن المصريين لا يقرأون لأساس له من الصحة، ونريد أن نبين لهذه الأسرار أن ما يداع اليوم عن تقسم المنطقة إلى دويلات لا تقوى على مواجهة إسرائيل مخطط له من سنوات طويلة، ولربما مخطط له ضمن المخطط الإسرائيلى الاستيطانى الذى يقال، وأنه موضوع فى السنوات الأولى لهذا القرن، وقد يكون هناك مخطط آخر لم نضع أيدنا على خيوطه. فالسياسة متقلبة والآراء متغيرة والمخططات متقلبة والآراء متغيرة، والمخططات تتشكل وتتنوع طبقاً للظروف والملابسات وطبقاً لصالح إسرائيل وليس لصالح العرب. فكل العدوانات على الأمة العربية كانت من أجل تأمين إسرائيل، وليس من أجل تأمين الفلسطينيين المطرودين، وكل عدوان من هذه العدوانات وصل إلى حد المؤامرة، ولكن المؤامرة الكبرى كانت فى عدوان عام ١٩٦٧، وهذا ما سنعرض له بالتفصيل فيما بعد.

## تفاصيل المواجهة الكبرى على مصر وعبد الناصر

فى صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ وبالتحديد فى الساعة التاسعة صباحا تلقى المسئول عن قسم الأخبار فى الإذاعة مكاملة تليفونية مقتضبه جدا تطلب منه صياغة نبأ يذاع عن عدوان إسرائيلى فورا، ولم يمله المسئول الخبر، وكنت قد وصلت مكتبى بالإذاعة فى تلك اللحظة، واتصل بى المسئول تليفونيا وهو فى قمة الانزعاج والارتباك عندما قلت له . . . اترك لى هذا الأمر وما عليك إلا أن تجمع ما جاء على وكالات الأنباء من أنباء عن هذا العدوان. إضافة إلى الحصول على ما أذاعته إسرائيل من قسم الاستماع السياسى واترك لى ما بقى من أمر، وبحكم خبرتى الطويلة فى مثل هذه الأزمات، اتصلت على الفور بالمسئول عن التنسيق وطلبت منه ضم الموجات وإذاعة مارشات عسكرية لأننا سنذيع خبرا عن عدوان إسرائيلى على مصر. وانزعج هو الآخر فقلت له: لعلك متزعج لأن مثل هذه الطلبات لايمكن أن تقوم بتنفيذها إلا إذا صدرت إليك من وزير الإعلام أو مدير الإذاعة بأشخاصهم، ولكننا فى موقف استثنائى، وإذا شئت الحصول إقرار منى بذلك فأنا على استعداد . . . وأجابنى بأنه سينفذ على الفور وإذا تعرض لأية مسئولية سيقربأنى المسئول الأول، وافقت على طلبه وتم ضم الموجات وأذيعت المارشات العسكرية، ولما انتهيت من هذا الأمر تفرغت مع الزملاء لصياغة الخبر، وصغنا نبأ مختصرا جدا ليس به تفاصيل العدوان. وكانت فى حورتنا. ولكن فضلنا أن نعلن أولا عن العدوان إلى أن تصل إلينا التفاصيل من وجهة نظرنا نحن، فالتفاصيل التى كانت فى حورتنا كان مصدرها إذاعة إسرائيل ووكالات الأنباء الغربية، وأخذت الإذاعة تكرر هذا النبأ لمدة نصف ساعة على فترات تتخللها المارشات العسكرية إلى أن جاءتنا تفاصيل العدوان بصفة رسمية واستقام الأمر، من هذه الصورة أدركت أن هناك ربكة فى دوائر القيادة العامة للقوات المسلحة ووزير الإعلام ووزارة الخارجية بمقارنتها بالصورة الأولى لعدوان عام ١٩٥٦ وكنت أيضاً فى موقع المسئولية الإعلامية، وبإذاعة هذه التفاصيل التى تقول بأننا أسقطنا للعدو عدة طائرات فى زهو وكبرياء ولم تكن هناك طائرات للعدو وإنما هى تنكات بنزين إضافية كانت الطائرات الإسرائيلية تتخلص منها عند فرارها تخفيها لحمولتها، ويهدف إعطائها



اصطدمت السيارة بعمود النور وتهشمت تماما وأصبنا جميعا برضوض وكسور. بعضها كان حادا منع أصحابها من الحركة والبعض الآخر كان خفيفا يساعد على الحركة وتعاوننا جميعا لمواجهة الموقف السيء وتركنا العربى لأنها لم تستطع الحركة وأكملنا طريقنا مشيا على الأقدام ومنا من وصل منزله مع خيوط نور الصباح. وكانت تلك ضريبة دفعناها من صحتنا وراحتنا لتكتمل الصورة المأساوية التى عشناها فى هذا اليوم المشئوم.

لم أتم سوى ساعتين فكان على أن أعود لعملى الإخبارى فى الإذاعة فى الصباح الباكر فى اليوم التالى ليوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ وأنا فى طريقى كنت أشهد الهجوم واليأس على وجوه القادمين والرائحين من شعبنا العريق صاحب الحضارة العريقة التى تمتد فى عمر الزمن أكثر من سبعة آلاف سنة. فالكل أدرك حجم الهزيمة، وتفكيره منصب كيف سنمسح هذه الهزيمة من سجل تاريخنا الحافل، أنا بدورى استرجعت كل المؤامرات التى حيكت ضدنا والتى استهدفت فى المقام الأول استنزاف طاقاتنا وتطويع إرادتنا لتقبل كل ما هو مخطط لنا.، وقد عاصرت معظم المؤامرات السياسية والعسكرية علينا، وكنت فى ثلاث منها فى موقع المسئولية. وبالمقارنة أدركت أن عدوان ٥ يونيو هو مؤامرة كبرى علينا خطط لها أعداؤنا من زمن طويل، كانت البداية فى الأربعينيات. حيث كانت معركة فلسطين فى عام ١٩٤٨ والتى استطاعت إسرائيل تحقيق أطماعها فى خلق دولة لها هى جسر للعدوان علينا. وبكل المقاييس والموارد هى بداية المؤامرات أخرى، لمجح بعضها وفشل البعض الآخر والبقية تأتى، فقد انتصر فى معركة فلسطين وانتصر فى يونيو عام ١٩٦٧ وارتد عدوانه علينا فى الخمسينيات فى معركة السويس وفى السبعينيات فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، ولم يتوقف العدوان علينا إلا بعد أن حقق جميع أهدافه العدوانية الاستفزازية الاستيطانية وما رال فى جعبته الكثير، ولكننا سنقف له بالمرصاد ندمر أهدافه ونصد عدوانه إلى أن يعترف بحقوقنا كاملة. ولكن قبل أن ندخل فى تفاصيل هزيمتنا فى يونيو عام ١٩٦٧ وأسبابها وتحديد المسئوليات فيها لا بد أن نعرف بأننا لم نستفد من دروس معركة السويس، ولو استفدنا منها ما كانت هزيمة يونيو، ولما استفدنا من دروس الهزيمة انتصرنا فى أكتوبر عام ١٩٧٣، ودروس معركة السويس التى لم نستفد منها كانت: لكى

نقهر عدونا لابد لنا من سلاح طيران قوى يحمى قواتنا المسلحة وهى تنهب الصحراء لتلاقيه، ولابد لنا من سلاح مدفعية قوى يعاون سلاح الطيران فى مهمته، ولكننا بعد هزيمة يونيو لم نعد سلاح الطيران ولا سلاح المدفعية حتى الكمية القليلة من طيراننا التى كان فى إمكانها أن تحدث توازنا فى معركة يونيو دمرها العدو قبل بداية المعركة وهى رابضة فى مطاراتها. فأنكشفت قواتنا المسلحة وكانت الهزيمة المنكرة. وزاد الطين بله أن أصدقاءنا تخلوا عنا فى وقت الأزمة، فكانت سماؤنا مفتوحة للطيران الإسرائيلى الذى قام بقوة من الطيران قوامها ١٧٤ طائرة بغارة قتالية على كل مطاراتنا فى أبو صوير والأقصر وغيرها دمرت معظم سلاح طيراننا. وقامت موجة أخرى من الطائرات الإسرائيلىة قوامها نحوالى ١٦٠ طائرة لتحطم ما تبقى من سلاح الطيران المصرى سليما، وما أذيع من وثائق العدوان حتى تاريخنا هذا يؤكد أن مؤامرة كبرى علينا وقعت. ليس من إسرائيل وحدها، وإنما من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، ويؤكد ذلك الوثيقة التى أذاعها محمد حسنين هيكل فى كتابه الانفجار ١٩٦٧ وذلك من رسالة المارشال جوريب برور تيتو إلى زعماء الدول والاحزاب الشيوعية الذين كانوا فى اجتماع فى بودابست لبحث شئون الشرق الأوسط، والذى تعرض فيه بريجنيف وكوسيجين وبودجورنى زعماء الاتحاد السوفيتى وقتذاك لحملة شديدة من معظم الزعماء الشيوعيين الآخرين. تتهمهم بالاستسلام للأمريكان وتتقد مسلك كوسيجين فى اجتماع جلاسبورو مع جونسون، وأنه هناك لعب به جونسون بطريقة تؤدى إلى انكشاف موقف المعسكر الشرقى بأكمله، ويقينى أن هناك العديد من الوثائق الأخرى لم يزح الستار عنها بعد تؤكد خيوط المؤامرة الكبرى على مصر وعبد الناصر التى شارك فيها العالم كله بغربه وشرقه فى وقت كان المعسكر الشيوعى يؤكد صداقته للعرب ضد المعسكر الغربى.







وكان هذا سر سعادتنا فقد حصلنا فى هذه الزيارة على كل ما كنا نريد الحصول عليه من حاجيات، وعدنا محبورين الخاطر. أما عبد الناصر فقد عاد كثيباً حزينا حيث رفض الاتحاد السوفيتى الموافقة له على كل طلباته، وفى تصورى أن هذا الموقف من الاتحاد السوفيتى وغيره من المواقف التى أشرت إليها جعل عبد الناصر يعيد حساباته مع حليفه الأكبر. فبعد أن سلمه سلاح طيرانه وفتح له ذراعيه على أمل أن يعاونه فى مسح الهزيمة المنكرة التى نالها على يد إسرائيل وحلفائها، ولكنه أدرك أخيراً أن المؤامرة أكبر منه ومن تفكيره، ولكنه لم يستسلم كعادته ورد الصاع صاعين للروس يوم أن أعلن فى الكرملين وعلى طاولة المفاوضات وفى مواجهة كل الزعماء السوفيت المجتمعين معه قبوله لمبادرة روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة لإقرار السلام فى الشرق الأوسط حسب وجهة النظر الأمريكية، وبات واضحاً من إقدامه على هذه الخطوة أنه يتس من موقف الاتحاد السوفيتى غير الإيجابى بسبب عدم تعديه الخط الأحمر المتفق عليه مع الولايات المتحدة، وهو أمر فسره المراقبون وقتذاك بأن عبد الناصر أخذ يميل إلى الغرب ويخرج من مظلة الروس، وهو الذى ظل محافظاً على مبدأ عدم الانحياز إلى أى من الكتلتين إلى أن أدرك أن اللعبة الدولية لها قواعد واتفاقات لا يمكن الخروج عنها.







السوفيتى تصرف بحزم وحسم، ولما كانت الامور قد وصلت إلى هذا الذى نحن فيه اليوم، وربما كان هذا الموقف السوفيتى هو العامل الرئيسى لاتخاذ عبد الناصر قرار التنحي. لأنه بثاقب فكره أدرك أن المستقبل بعد المعركة والهزيمة يتطلب الاتصال بالولايات المتحدة «وقلبه مملوء بالمرارة من الأمريكان» وقد لا يستطيع القيام أو لا يقدر القيام بهذا الاتصال، وأما مساومة القادة السوفيت بالاتصال بعبد الناصر فى هذه الأزمة. فإن عبد الناصر يرحب به لأن إعادة القوات المسلحة إلى قوتها بعد الهزيمة لابد وأن يكون عن طريق التعاون الكامل مع الاتحاد السوفيتى لهذه الاعتبارات وغيرها، ونسجل هنا نص رسالة السوفيت التى بعث بها إلى القيادة المصرية السفير المصرى هناك وهذا نصها:

الصديق العزيز ناصر:

أنتم تتمعون بسمعة ضخمة فى العالم العربى وإن الشعوب العربية كلها تثق فيكم وأصدقاؤكم يحترمون نضالكم ويحترمون شخصكم. إنكم باستمراركم فى منصبكم رئيساً تستطيعون العمل، ويجب أن تعملوا كل الممكن من أجل المحافظة على دولتكم وشعبكم. إن العالم العربى والقوى التقدمية فى العالم العربى سوف لا يفهمون ولا يوافقون على تنحيكم عن قيادة البلاد فى هذه اللحظة العصيبة والمسئولة. ونحن مستعدون لبحث كل الخطوات المشتركة لحل جميع المشاكل الاقتصادية والعسكرية فى أى وقت ترونه. مع احترامنا العميق.

إمضاء: بريجنيف كوسيجن بادجورنى

ورسالة السوفيت بتعبيراتها هذه لاشك أنها تفتح طاقة نور أمام عبد الناصر وسط الظلام الدامس المحيط به، وتحدد أمل خروجه من الأزمة واستئناف عمله من جديد لإزالة آثارها الخطيرة على مستقبله السياسى ومستقبل مصر.

أما عن العالم العربى فقد حملت وكالات الأنباء أنباء المظاهرات الصاخبة التى تطالب عبد الناصر بالعودة والرجوع عن قرار تنحيه، وانهالت البرقيات على رئاسة الجمهورية من أنحاء العالم العربى بطريقة تؤكد أن الشعوب العربية كانت فى نفس موقف الشعب

المصري تطالب الزعيم بالعودة إلى قيادة ثورته التي تمثل أمل تلك الشعوب في تخطي كافة قضاياها ومشاكلها، وبناء مجتمع عربي قوى يواجه كافة التحديات والأخطاء الداخلية والخارجية التي تمسك بتلابيب الأمة العربية، وإيمان تلك الشعوب بأن اختفاء عبد الناصر من الصورة سيبدد كل الآمال التي عقدوها عليه وعلى ثورته، هذا باختصار كان أصداء وردود فعل قرار عبد الناصر بالتنحي عن حمل المسئولية في مثل هذا الظرف العصيب من تاريخ مصر الحديثة. أما ما حدث في مصر إلى أن تراجع عبد الناصر عن قراره فله قصة أخرى مثيرة، وتفصيلها مثيرة أكثر، وكلها تؤكد للذين أرادوا اتهام عبد الناصر بأن ما يفعله إنما هو محاولة لامتناع غضب الشعب إنما هو محض افتراء. وأن الرجل كان فعلاً سيعتزل المسئولية، وأنه نزل عن قراره تحت ضغط الشعب الرهيب، وتحت خوفه على مستقبل الثورة ومستقبل مصر.

## تحت ضغط الهزيمة تنحى عبد الناصر وبضغط الشعب عاد إلى موقعه

لم يكد عبد الناصر يذيع بيان تنحيه عن تحمل المسؤولية حتى اندفعت الجماهير بطريقة عفوية تلقائية إلى شوارع مدينة القاهرة وأرقتها وحواريها، وتوقف المرور نهائياً وانسدت الشوارع بكتل بشرية وأغلقت المحلات والمتاجر وانطلقت تهتف هتافات عدائية ضد السيد ركريا محيى الدين الذى عينه جمال عبد الناصر لتحمل المسؤولية من بعده، وانطلقت تهتف هتافات مدوية كالرعد تطالب برجوع جمال عبد الناصر، وبدأ أن رمام الأمن سيفلت كلية هذه الليلة إذا لم تتدارك الأمر القيادة السياسية والقيادة الأمنية فى ذلك الوقت، وكل الصلة مقطوعة بين القيادتين فلم يستطع أى منهما اختراق جموع الجماهير المترصة لاللتقاء بالقيادة، وكانت وسيلة الاتصال هى التليفون وحده. فلاركريا محيى الدين استطاع أن يلتقى بعبد الناصر فى منشية البكرى، ولا أنور السادات - وكان فى هذا الوقت رئيساً لمجلس الأمة - ولا شعراوى جمعة وزير الداخلية استطاع أن يتحرك من منزله، ولا محمد فائق وزير الإعلام ولا المشير عبد الحكيم عامر الذى كان محور اللوم وسبب الهزيمة ولكن الشعب الثائر الهائج لم يكن يفكر فى هذه اللحظة فى تحديد المسئول عن النكسة وقد كفاه عبد الناصر هذا الأمر عندما أعلن أنه يتحمل وحده هذه الهزيمة، كان شغله الشاغل إثناء عبد الناصر عن قراره، وفى ظل هذا الحماس الشعبى البالغ لم تستطع حراسات عبد الناصر - رغم تشديدها منع أعداد من هذه الجماهير من لقاء عبد الناصر والتعبير عن رغبة الشعب العارمة فى عودته، وحماية مصر من كارثة محققة غير معروفة النتائج ولا العواقب، ولكنه كان يطمئنهم ولم يعدهم بالعودة، أو الرجوع عن قراره، ووسط هذا الموج المتلاحق من البشر وامتداده من القاهرة إلى الأقاليم والمحافظات والثورة تتملك كل كيانه والقلق يحتويه خوفاً من مستقبل مظلم أمر من الهزيمة والنكسة فوجيء بصوت صفارات الإنذار تدوى فى الأفق معلنة عن وقوع غارة، وظننا أن الأمر لم يعد أمر الهزيمة بل الأمر أكبر بكثير. فالعدو لم تكفه هذه الهزيمة وجاء ليكملها بهدف التخلص من عبد الناصر الذى أصبح معبود الجماهير - رغم ما منى به من هزيمة نكراء - وظننا أن إسرائيل تريد بغارتها هذه التخلص من عبد الناصر نهائياً، ولكن الجماهير لم

تتحرك قيد أثملة ولم يهزها الخوف من الغارة، وبينما نحن مندوبى الصحف والإذاعة والتلفزيون نفكر فى الأمر ونقلبه على كل الجوانب إذ بوكالات الأنباء تحمل بياناً إسرائيلياً يؤكد أنه ليس لإسرائيل أى طائفة اخترقت عمق القاهرة ومصر، فتنفسنا الصعداء وأيقنا أن القيادة الأمنية هداها تفكيرها إلى استخدام صفارات الإنذار لتفرقة تلك الجماهير المترصة حتى يستتب الأمن ويعود الهدوء والاستقرار، ويتسع الوقت لبحث الأمر واتخاذ القرارات التى تهدىء روع هذه الجماهير الثائرة والمتحفلة فى وقت واحد، والتى يمكن أن تحول البلاد إلى ثورة شديدة الشبه بثورة عام ١٩١٩ بالرغم من الخلاف الكبير بين الحالتين. فثوره ١٩ كانت ضد الإنجليز والاحتلال، والجماهير اليوم تطالب بمهة قومية وطنية رغبة منها أن تستمر ثورة يوليو التى عقدت عليها الآمال بعد أن خلصتها من الاحتلال وأجلت الانجليز حتى تكمل أهدافها الست التى أعلنتها، وصادفت لديها ارتياحاً وتأييداً عارماً على أمل أن تبنى نهضة مصرية حققة تزيل الفوارق بين الطبقات، وتقيم مجتمع الكفاية والعدل بعد أن تقضى على إسرائيل وتعيد للفلسطينيين كافة حقوقهم المشروعة فى إقامة دولتهم المستقلة. وهى التى خطت خطوات جبارة على الطريق بعد أن جمعت كل الفصائل الفلسطينية فى منظمة واحدة هى منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات.

هذه الآمال العريضة هى التى كانت تحرك الجماهير لإعادة عبد الناصر ليقود الثورة من جديد ليكون ذلك أبلغ رد على المؤامرة الكبرى التى حيكت ضده من إسرائيل ومن العالم كله بمعسكره الشرقى والغربى، وكان نتيجتها نكسة يونيو التى قضت على قواتهم المسلحة وقضت على كل الآمال الوردية التى أخذت تتزايد من ميلاد الثورة عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٦٧ الذى شهد تلك الهزيمة المرة، وأمام هذا الضغط الجماهيرى الزائد كان لابد أن يعيد عبد الناصر النظر فى قرار تنحيه. خاصة بعد أن أجمع كل المحيطين به، وفى مقدمتهم ركريا محيى الدين الأصل لهذه الأزمة سوى عودة عبد الناصر إلى تحمل المسئولية، وبناء القسوات المسلحة من جديد. خاصة وأن التاريخ ملئ بهزائم أشد من هزيمتنا وأعنف تحولت إلى نصر مؤزر بنفس القائد الذى منى بالهزيمة.





بأمانة - وأرجوكم تبليغ مجلس الأمة الموقر أنني مقتنع بالأسباب التي بنيت عليها قرارى،  
وفى نفس الوقت فإن صوت جماهير شعبنا بالنسبة لى أمر لا يرد، ولذلك فقد استقر رأى  
على أن أبقى فى مكانى، وفى الموضوع الذى يريد الشعب منى أن أبقى فيه حتى تنتهى  
الفترة التى نتمكن فيها جميعا من أن نزيل آثار العدوان، على أن الأمر كله بعد هذه الفترة  
يجب الرجوع فيه إلى الشعب فى استفتاء عام.

وإننى لأشعر أن النكسة لا بد أن تضيف إلى تجربتنا عمقا جديدا، ولا بد أن تدفعنا إلى  
نظرة شاملة وفاحصة وأمينة على عملنا. وأول ما ينبغى أن نؤكد به فهم واعتزاز - وهو  
واضح الآن أمام عيوننا، أن الشعب وحده هو القائد وهو المعلم وهو الخالد إلى الأبد.  
والآن أيها الأخوة المواطنون فى كل مكان: أيديكم معى ولنبدأ مهمتنا العادلة ولينحنا  
الله جميعا تأييده وهداه.

جمال عبد الناصر

مؤامرة يونيو ١٩٦٧ (شبه بمؤامرة فلسطين ١٩٤٨)

اطراف عربية شاركت فى المؤامرتين

بمواقف وصلت إلى حد الخيانة

تسجيل ما حدث فى يونيو من تأمر على مصر ورعيهما جمال عبد الناصر لايمكن الإلمام بتفاصيله حاليا - رغم مرور ما يقرب من ٢٣ عاما على وقائمه وأحداثه - أو بالأحرى تسجيل حقيقة ما حدث لايمكن التوصل إليها - رغم مرور هذه الحقبة الطويلة من الزمن ذلك لأنه ما زال هناك العديد من المواقف يكتنفها الغموض الكامل ، وما أريح الستار عنه هو استنتاج وتحليل لايستند إلى وثائق وأسانيد تنفيه أو تؤيده .

والتاريخ وحده هو القادر على تسجيل حقيقة ما جرى فى هذا اليوم المشوم عندما تنكشف إليه الوثائق والأسانيد التى لا تكذب ، والتى لا تترك الفرصة للاستنتاج والتحليل الذى يجور عليه الصواب والخطأ ، وإلى أن يسجل التاريخ الحقائق عارية دون اجتهاد فإن ما لدينا من محاضر ما جرى فى ٥ يونيو وما بعده ومن محاضر ماجرى فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وما ألف من كتب وبحوث عن هاتين المؤامرتين يؤكد أن الشبه بينهما كبير ، وأنه لولا بعض المواقف العربية المشبوهة التى وصلت إلى حد الخيانة ما نجحت المؤامرتان فى تحقيق أهدافهما المرسومة ، وأن الفارق الوحيد بينهما أن مؤامرة فلسطين حققت كل أهدافها حيث حصلت إسرائيل على كل شئ - رغم أن القضية مارالت تقلقنا وتفرقنا كما فرقتنا فى عام ١٩٤٧ وعام ١٩٤٨ ويوم قرار التقسيم الذى رفضناه ، ويوم الحرب التى خضناها بسبب رفضنا للتقسيم ورفضنا لقيام إسرائيل ، وأما مؤامرة ٥ يونيو فلم تحقق كل أهدافها . فقد كانت تستهدف أمرين . الأول تدمير القوات المسلحة ، والأمر الثانى : القضاء على عبد الناصر وقد نجحت فى تحقيق هدفها الأول ، وفشلت فى تحقيق هدفها الثانى حيث بقى عبد الناصر وعدل عبد الناصر عن تنحيه بضغوط الجماهير التى لم تقبل الهزيمة ، ووضعت يدها فى يده لإزالة آثار هذه الهزيمة ، وإحراز نصر يرد الكرامة العربية التى أهينت ، وكان لها ما أرادت فى حرب أكتوبر المظفرة عام ١٩٧٣ التى قلمت





الملك عبد الله ملك الأردن آنذاك فيما بعد من من الإدعاء بأن الجيش الأردني هو الذي حارب وأنه يتنصر وأن الجيش المصري هو الذي لم يحارب. رغم أن الجميع دمه بالخيانة، وقرر كل المراقبين أنه لولا هذه الخيانة ولولا تخلى بعض الجيوش العربية عن التزاماتها المتفق عليها قبل بداية الحرب ما كانت انتصرت إسرائيل ولما ضاعت فلسطين ولما نجحت المؤامرة الموضوعية لتثبيت أقدام إسرائيل في المنطقة لتكون رأس حربة تهدد الأمة العربية وتنفيذ المخططات الواضحة في المنطقة، فكما رفضت الأردن دخول القوات العربية إلى أراضيها للدفاع عنها ضد إسرائيل في حرب فلسطين رفضت أيضا دخول أية قوات إلى أراضيها في مؤامرة ٦٧ طبقا لما كان متفقا عليه. وهذا أمر ثابت في محاضر الاتصالات بعد المعركة. وزاد موقف الأردن المشبوه بعد حرب ٥ يونيو ما جاء في كتاب مؤامرة الصمت الذي صدر عن حرب ١٩٦٧ وما جاء في كتاب الانفجار لمحمد حسنين هيكل من تأكيد دور الأردن المريب - ودور الملك حسين بالذات - في اندلاع الحرب والتأكيد من أنه كان على علم بتفاصيل المخطط الإسرائيلي الأمريكي لسحب الجيش المصري إلى حرب يكون فيها القضاء على جمال عبد الناصر وعلى جيشه، وأنه استطاع أن يقوم بمهارة عالية بدور مزدوج تظاهر فيه بالتعاون مع العرب في حين أنه يعد العدة مع أمريكا وإسرائيل لالتهام مخططاتها، ويوم أن تداع الوثائق سيدمغ بالخيانة كما حدث للملك عبد الله في حرب فلسطين.

## · بعد الهزيمة واجه عبد الناصر الغازا وأسرارا لم يستطع حل رموزها

من الألغاز والأسرار التي واجهها عبد الناصر بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ولم يستطع حل رموزها أو معرفة حقيقتها موقف الاتحاد السوفيتى - حليفه الأول وموقف بعض الدول العربية وما جرى من تقصير فى أداء القوات المسلحة . حتى أن البعض اعتقد أنه وصل إلى حد الخيانة . فقد اتضح من موقف الاتحاد السوفيتى أنه لم يكن الحليف الذى يمكن أن يعتمد عليه ، وأنه ليس فى مستوى الولايات المتحدة الأمريكية حليفة إسرائيل . فالولايات المتحدة كحليف لإسرائيل تكشف أوراقها أمامها ولا ترفض لها طلبا مهما كان شاذاً أو غير مقبول . فى حين أن الاتحاد السوفيتى لم يلب طلبات مصر وهى تخوض معركتها الشرسة على رمال سيناء مع جيش إسرائيل المزود بأحدث الأسلحة فى الترسانة الأمريكية ، والعليم بكل الأسرار العسكرية المستحدثة .

أى أن أمريكا كانت تمد إسرائيل بأحدث سلاح لديها ، والاتحاد السوفيتى يضمن بمد مصر بأحدث ما لديه من سلاح - حتى السلاح المتخلف الذى كان يمد به مصر لم يلب كل احتياجاتها منه - وفوق هذا كله أن الاتحاد السوفيتى وقع فى المصيدة بقصد أو بغير قصد أو باتفاق مسبق مع الذين خططوا للمؤامرة فى زمن طويل بعناية وكفاءة ، ولم يتخلوا عن مؤامرتهم بعد الهزيمة . بل أعدوا العدة للسير فيها إلى نهايتها حتى يتحقق لهم هدفهم الأساسى منها ، وهو إرغام الدول العربية للجلوس على مائدة المفاضات لينفذوا شروط إسرائيل كمنتصر فى الحرب . فالشك قائم فيما حمله السوفيت إلى عبد الناصر قبل وقوع الكارثة من أن هناك هجوما إسرائيليا حقيقيا على سوريا لابد أن تتصدى له مصر ، والشك قائم فى اتفاق الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على طلبهما من مصر ألا تكون البادئة بالعدوان فى فجر يوم المعركة - كما جاء على لسان السفيرين الأمريكى والسوفيتى فى مقابلتهما لعبد الناصر كل على حدة ، وصدع عبد الناصر بأمرهما ، ولكنه فوجئ فى صباح ذات اليوم بالطائرات تركب المطارات المصرية دفعة واحدة وتدمر سلاحها الجوى عن آخره باقتدار قبل البدء فى المعركة . وهو يعطى ظلالة من الشك ، ولكنه لم يتأكد بأية

وثائق بعده. وما حدث من مناقشات مع الاتحاد السوفيتى فى موسكو، والتي كان بطلها العربى الرئيس الجزائرى هوارى بومدين وما حدث من حوارات مع الاتحاد السوفيتى فى القاهرة، وكان المحاور العربى فيه هو جمال عبد الناصر يؤكد أن الاتحاد السوفيتى لا يريد أن يتورط مع العرب والوقوف ضد أمريكا بسبب العرب، بحجة أن هذا سيكلفه حربا نووية ضارية مهلكة ليس لمنطقة الشرق الأوسط فحسب. وإنما لسائر دول العالم، وأنه ليس على استعداد لذلك فى حين أن أمريكا على نقيض الاتحاد السوفيتى كانت على استعداد لخوض أية حرب مهما كانت مآسيها وضحاياها من أجل الإبقاء على إسرائيل قوية تمتلك من السلاح ما يفوق بكثير ما يمتلكه العرب، وأن أمريكا ستهب لنجدتها بكل إمكاناتها وقدرتها إذا ما تألب عليها العرب. فكما هو ثابت فى وثائق محاضرات هذه المناقشة والحوار، والتي كشف عنها محمد حسنين هيكل فى كتابه الانفجار ١٩٦٧ يؤكد هذه الحقيقة.

وهذا كان اللغز الأول الذى يحير عبد الناصر فى وقت قد عقد العزم على تحديث قواته المسلحة بعد الهزيمة وأن اعتماده الكلى فى هذا الأمر لابد أن يعتمد على الاتحاد السوفيتى بعد أن تهدمت كل جسوره مع الولايات المتحدة والغرب بأسره. وهناك حقيقة أخرى ظهرت جلية فى هذه المناقشة والحوار. هى أن الاتحاد السوفيتى قد عقد العزم على الاستفادة من الهزيمة لصالح مخططاته السياسية الرامية إلى الحصول على قواعد عسكرية فى المنطقة فى مواجهة القواعد العسكرية الأمريكية التى حصلت عليها أمريكا فى المنطقة بالفعل، وهو ما وضع عبد الناصر فى حرج كبير. فهو المنادى بتدمير القواعد العسكرية الأمريكية فى المنطقة؟ فكيف يقبل أن يكون للسوفييت قاعدة عسكرية فى مصر. وثمة هدف آخر أراد السوفييت تحقيقه بعد الهزيمة وهو ألا تكون هذه الهزيمة سببا فى ارتكابه ما يورطهم فى النزاع مع أمريكا، وقد اتضح ذلك من رد رئيس الدولة السوفيتى بودجوني فى حوار مع عبد الناصر عندما اشتكى له من أن الأسطول الأمريكى السادس الذى لعب دورا أساسيا فى المعارك الأخيرة كان يعمل واثقا من قواعده وخطوط مواصلاته فى حين أن الأسطول السوفيتى كان تائها فى البحر مثل البراميل العائمة الشاردة إلى درجة أن بحارته

لا يجدون أرضاً ثابتة يستريحون عليها في أجازاتهم وإنما على كل بحار منهم أن يقضى خدمة ستة شهور متواصلة فوق الموج حتى تتاح له فرصة العودة للراحة في أحد موانئ البحر الأسود. ولما رد عليه عبد الناصر وعرض عليه ترحيبه بأن يقضى البحارة السوفيت أجازاتهم في الموانئ المصرية من الإسكندرية إلى بورسعيد كان رد بودجورنى على الفور بأنه لا داعى لبورسعيد لأنها قريبة للخطوط الإسرائيلية. وهذا قد يسبب مشكة، وكان هذا الرد موضع استغراب من عبد الناصر. ولما حاول بودجورنى في مناقشاته الحصول على قاعدة سوفيتية في الإسكندرية وفي مرسى مطروح وإعطاء القوات السوفيتية الرابضة في هذه القاعدة حق رفع العلم على مقرها حتى تكون في مأمن، وجاء الرد على عبد الناصر ليبدى رأيه فيما سمع قال: إن الاتحاد السوفيتى يطلب قاعدة بحرية في مصر وهذا مخالف لمبادئها ومع ذلك فهو مستعد للموافقة عليه إذا كان الاتحاد السوفيتى على استعداد لأن يتحمل مسئولياتنا القتالية في المعركة القادمة وأنه قادر أن يقنع الشعب المصرى بقبول هذه القاعدة على هذا الأساس. إذ إن القاعدة في هذه الحالة تكون خدمة للمعركة وغيرها تكون خدمة للاستراتيجية السوفيتية، وما فهمه عبد الناصر من النقاش أن الاتحاد السوفيتى لا يريد أن يتحمل مسئوليات قتالية باعتبار أن ذلك سوف يؤدي حتما إلى مواجهة مع الأمريكين. وأضاف عبد الناصر: إذا كان بودجورنى قد خشى من نزول بحارة الأسطول السوفيتى في بورسعيد في أجازة لأن بورسعيد قريبة من الخطوط الإسرائيلية فإنه أى عبد الناصر لا يتصور أن يكون السوفيت مستعدين بقاعدة في الإسكندرية لمهام قتالية مع مصر وحسم الموقف بترحيبه بقضاء البحارة لأجازاتهم في مصر، ورفضه القاطع إعطاء السوفيت قاعدة عسكرية على أرض مصر. لأن ذلك معناه بطريقة أو بأخرى أنه يعطى للأمريكان ما أرادوه، وهو أن يظهروا مصر كدولة عميلة للاتحاد السوفيتى وهذه المواقف من الاتحاد السوفيتى حيرت عبد الناصر، وأظلمت الطريق أمامه في محاولة استعادة الكرامة المصرية بعد الهزيمة. فحليفه الذى كان يعقد الأمل على مساعدته ليس مخلصا لهذه المساعدة، ولكن عبد الناصر بسبب حرصه على غسل عار الهزيمة التى أدت إلى احتلال أراض مصرية وعربية وفلسطينية استعان بالمستشارين، ورضخ لبعض شروط

السوفييت على أمل أن يقدموا له من المساعدة ما يحرر أرضه وأرض العرب، ومنع إسرائيل من احتلال الضفة الغربية وضمها إلى أراضيها. فقد كان في رأيه إذا عادت مصر إلى ميدان القتال فلا بد أن تعمل أولا على إقامة توازن دولي لمواجهة الأزمة. فإن الاتحاد السوفيتي يصبح أمرا أساسيا. فلن يكون لها مصدر للسلاح سوى السلاح السوفيتي وأن وقوف السوفييت إلى جانب مصر والعرب يخلق التوازن الدولي للخروج من المشكلة. ولكن قد اتضح من اتصالنا معهم في أعقاب الهزيمة أن لهم مصالح في المنطقة يريدون المحافظة عليها ويريدون ريادتها - في نفس الوقت - باستغلال الظروف الطارئة بشرط عدم تورطهم مع الأمريكان، ونحن لانريد منهم سوى أن يتفهموا جيدا حقيقة موقفنا، ويعرفوا أنه إذا ضاعت المنطقة ودخلت في حضيض الأمريكان فهم أيضا سوف يخسرون موقفهم العالمي كله. ولكن السوفييت لم يدركوا كل هذه الحقائق وغلبوا رغبتهم في عدم التورط مع الأمريكان على ما سواها من الحقائق التي طرحها عبد الناصر في تخفيف تحالفه معهم. خاصة بعد أن رفضوا مده بأسلحة هجومية وأصروا على مده بالأسلحة الدفاعية فقط - اضطر مجبرا وفي حضور كل الزعماء السوفييت في مباحثاته معهم في موسكو أن يعلن قبوله لمبادأة روجرز، وكان هذا تحولا كبيرا في موقفه هز كل الاستراتيجيات وأدخل المنطقة في مرحلة خطيرة لا يمكن معرفة نتائجها وتداعياتها عما إذا كان ذلك في صالحهما أم ضد هذه المصالح.

## تنبا' عبد الناصر بواقع مستقبل المنطقة على ضوء دراسته لعوامل هزيمته

قبل معركة يونيو كان رصيد عبد الناصر فى علاقاته العربية صفرا، وقد كان لذلك تأثيره الكبير على سير المعركة. بل ربما كان أحد الأسباب الرئيسية للهزيمة المنكرة التى منيت بها ثورته وشعبه، فلم يغفر هؤلاء العرب له معاركه الضاربة منهم التى وصلت إلى حد سبابهم وشتهم بأفزع الشتائم التى لايمكنهم نسيانها أو تناسيها، فلم ينسوا له أنه قسمهم إلى عرب أمريكيان وعرب إنجليز، واتهامه لهم بأن ولاءهم لاسيادهم من الأمريكان والإنجليز أكثر من ولائهم لامتهم العربية وشعوب بلادهم، وهو أمر أثار شعور الجماهير ضدهم، وثاروا عليهم ثورات عارمة أتت أكلها فى البعض منهم وأسقطت عروشهم وزلزلت عروش الآخرين حتى كادت تهوى تسقط ولكن هزيمته الشيعة فى حرب يونيو أنقذتهم ومدت فى عمر عروشهم، ومن هنا كانت شماتتهم فى هزيمته أكثر من شماتة الغرب والولايات المتحدة الأمريكية الذين خططوا مع إسرائيل للتخلص من عبد الناصر والقضاء على ثورته. التى قلبت الموازين وغيرت المعادلات وأصاب مصلحتهم فى المنطقة بأضرار بالغة، وهزت ولاء دول المنطقة لهم. بل إن بعض هذه الدول تخلى نهائيا عن هذا الولاء وأعطاه للاتحاد السوفيتى - الذى كان يسعى فى هذا الوقت لزلزلة منطقة الشرق الأوسط من تحت أقدام الغرب واتخاذ مواقع ثابتة بها يهدد الغرب بها أو يساوم عليها، وقد لجحوا فى ذلك إلى حد كبير. فمصر وسوريا والجزائر وغيرها توطدت علاقاتهم مع الاتحاد السوفيتى إلى حد أزعج الغرب والولايات المتحدة. ولكن هذه العلاقات ظلت فى نطاق الصداقة والتحالف فقط، ولم تتحول إلى درجة التعاون الاستراتيجى وعقد اتفاقيات الدفاع المشتركة مع الاتحاد السوفيتى كما هو حادث بين إسرائيل والغرب والولايات المتحدة. التى فتحت ترساناتها العسكرية لإسرائيل إبان حرب يونيو، وأرسلت لها سفن التجسس الأمريكية الأكثر حداثة وتطورا لتتمركز فى البحر الأبيض المتوسط تمدها بصور لتحركات القوات العربية ومواقعها العسكرية. مكنتها من تدمير هذه القوات والمواقع فى اللحظات الأولى لنشوب الحرب، وأكسبتها المعركة فى دقائقها الأولى، بينما الاتحاد السوفيتى لم يقم بمثل هذا الأمر إلا بعد انقشاع غبار المعركة ووقعت الهزيمة، وقد عبر عبد

الناصر عن مرارته الشديدة من الموقف السوفيتى عندما قدم السوفيت له صوراً لمطارات سيناء التقطها قمرهم الصناعى بعد المعركة. عندها علق لهم بقوله «الآن تحيثون لى بصور لمطارات سيناء بعد أن احتلها اليهود؟ وسألهم : لماذا لم تعطونا هذه الصور من قبل عن مطارات إسرائيل قبل بدء المعركة؟ وهنا استجمع فى ذاكرته مجمل المواقف السوفيتية المتخاذلة منه قبل المعركة وبعدها، ومنها على سبيل المثال لالحصر تلكؤهم فى إمداده بمائة طائرة كان قد طلبها منهم يوم ٦ يونيو ثانى أيام المعركة، ولكنهم عادوا بعد ذلك ووعدوه بتلبية كل طلباته من السلاح. وأضاف إلى ذلك ما أدهشه حقاً من مرقفهم عندما طلبوا منه - والجمعية العامة ومجلس الأمن يبحثان قضية الشرق الأوسط بعد المعركة - تقديم تنازلات لايمكن القبول بها حيث إنها كانت التنازلات التى يطالب بها الأمريكان تنفيذا لمخططهم المرسوم الرامى إلى إخراج مصر من حلبة الصراع مع إسرائيل، هذا ما أعلن عنه من مواقف الروس المتخاذلة، وما خفى يبدو أنه كان أعظم وأشنع وأفدح. فلو لم يكن هذا ما أفصح عنه عبد الناصر عن أن تنجيه عن السلطة لم يكن مدفوعاً بالعواطف وحدها وإنما كانت عنده اعتبارات عملية وجزء منها متعلق بموقف الروس.

على أنه طبقاً لما ورد من تقييم عبد الناصر لموقف وسياسة الروس من واقع ما ورد على لسانه من عبارات فى محاضر لقاءاته بالقادة السوفيت فى القاهرة بعد المعركة، وفى مؤتمر القمة العربية فى الخرطوم الذى عقد فى أعقابها يلمح دون أدنى عناء أنه كان يستشعر بما سيجد من أحداث فى المنطقة ويتنبأ بها. ففى هذه المحاضر جاء على لسانه أن الروس كانوا فى حالة تردد وضياح فى مواقفهم لأحداثها، وكانوا منكمشين، والأمريكان فى حالة انفلات، واعترف بخطئه بعدم معرفته أو تقديره لهذا التغير الواضح فى الميزان الدولى، وأنه لم يحسب حساباً دقيقاً لهذا التغير، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية - بل أهمها - على الإطلاق فى هزيمته. كما أنه ثابت فى هذه المحاضر التى نشرها محمد حسنين هيكى فى كتابه ١٩٦٧ «الانفجار» أنه قال ليودجرنى خلال زيارته للقاهرة صراحة - إنهم أى الروس لم يقدروا حتى الآن أن ضرب الدول غير المنحازة هو خطوة فى سياسة الأمريكان. للانفراد بالسيطرة على العالم. وإذا وقفنا نحن فسوف يزداد الضغط عليهم، وسيصل إلى

بنية العالم الثالث، ثم ينتقل إلى دول أوروبا الشرقية، ثم يدخلون عليهم فى بلادهم ذاتها. وفى مكان آخر من هذه المحاضر قال عبد الناصر للروس إنهم سوف يخسرون الحرب الباردة حتى وإن كان لديهم مليون قبلة ذرية. وهى لن تستعمل. وهكذا كان ما جاء على لسان عبد الناصر فى عام ١٩٦٧ يتحقق اليوم فى نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات - أى بعد ٢٣ عاما فقد هبت رياح عاتية على الشرق اقتعلت مبادئ الاشتراكية والشيوعية من جذورها فى الاتحاد السوفيتى الأم وفى دول أوروبا الشرقية، وسقطت نظم الحكم الديكتاتورية الشمولية بها، وحلت محلها نظم ديمقراطية تحترم حقوق الإنسان وتبيح له حرية التعبير عن آلامه وآماله تلك الحرية التى كانت مكبوتة تماما فى تلك النظم. بينما انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة وحدها على مصائر العالم دون منافسة حقيقية من الاتحاد السوفيتى الذى كاد يتقصى من هذه السيطرة ويحجمها، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد وحدها بوضع النظام الجديد لعالم ما بعد التغيير الخطير، وتنفرد وحدها بمواجهة أحداث العالم تجمعها عندما تشاء وتحركه لتنفيذ رغباتها دون قدرة أى دولة للتصدي لها، وخير مثل على هذا ما تم بشأن أزمة الخليج التى ترتبت وتخلفت عن احتلال العراق للكويت، وكما تنبأ عبد الناصر بمستقبل العلاقة بين القوتين الأعظم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وصدقت نبوءاته بعد سنوات صدقت نبوءاته أيضاً فيما يختص بمستقبل أحداث منطقة الشرق الأوسط. فمن واقع تقسيمه للهزيمة بالنسبة لمصر ودول هذه المنطقة جاء فى أقواله مطالبته بالضغط على الروس من الدول العربية التى لها علاقات وطيدة معهم، ومن الدول غير المنحازة، وكل دول آسيا وأفريقيا كما طالب بأن يتحرك إخوانه فى السعودية فى قناة وضع علاقاتهم وغيرهم مع الأمريكان موضع الاختبار لاسترداد ما ضاع من أرض عربية فى معركة يونيو الخاسرة. وقال إننا نحتاج إلى فترة ما بين سنتين إلى ثلاث سنوات لكى نعود إلى معركة كبيرة واسعة النطاق لإزالة آثار العدوان، وأنه ينبغى ألا تمر الفترة الحالية فى سكون دون حركة، وإنما يجب أن نشحنها باشتباكات محددة لتسخين الجبهة ولكسر حاجز الخوف لدى قواتنا الذى تخلف عن الهزيمة. كما أن هذه الفترة لابد أن نغطيها بعمل سياسى نشيط يقنع أصدقاءنا - وأولهم

الاتحاد السوفيتى - أننا فعلنا كل شيء من أجل حل عن طريق الأمم المتحدة والاتصالات الدولية، ولكنه لم يكن واثقا فى جدوى الحل السياسى. إذا لم يكن مغلفا بقوتنا وقدرتنا على تحرير أرضنا، وأنه لا بد من معركة تثبت فيها هذه القوة تلك القدرة، وهو ما حدث بالضبط فبعد سنوات الاستنزاف والتحريك السياسى الداعى فى الأروقة الدولية كانت معركتنا المظفرة فى أكتوبر عام ١٩٧٣ أى بعد ستة سنوات من الهزيمة التى مسحنا بها عار الهزيمة، ولفتنا نظر العالم بها إلى قضايانا وضرورة حلها حلا عادلا دائما شاملا. والا أننا ضيعنا كالعادة بخلافات هامشية شبت بيننا عطلت حصولنا على حقوقنا كاملة، وأعطت لأعدائنا فرصة استخدامها كدليل على أننا شعب يرفض السلام متعطش للحرب، على أن الحسنة الوحيدة التى استفاد بها عبد الناصر من الهزيمة أنه تخلى عن اتهاماته وشتائمه، وقدر مواقف الدول العربية خيرا تقدير وقدر التزاماتها وارتباطاتها لنجت من حملته عليهم، بل وتخلى عن سياسته المجابهة لجمع شمل الموقف لمواجهة المواقف المتردية التى ترتبت على الهزيمة. فغفر لعدد منهم مواقف حامت حولها الشبهات، وأفسح صدره للاستماع إلى وجهات نظرهم - حتى ولو كانت مخالفة لوجهة نظره. يناقشهم ويحاورهم حتى يقنعوه أو يقنعهم على استمرار العلاقات بينهم بهذا الحوار وتلك المناقشة ما دامت تلك المناقشات تصب فى قنوات أمتهم العربية من محتهم، ولهذا حديث آخر بالتفصيل فى محاولة لتقييم تلك المواقف.

## اعد عبد الناصر لحرب استنزاف طويلة

### تهد الطريق لحرب تغسل عار هزيمته

لعبد الناصر فضل كبير فى إنجاح حرب أكتوبر التى غسلنا بها عار هزيمتنا فى يونيو عام ١٩٦٧ وأثبتنا بها أننا قادرون على قطع ذراع إسرائيل الطويلة فى الحرب التى كانت تنبأى وتعلن للعالم أن العرب بعد هزيمة يونيو تحولوا إلى جثة هامدة لاخوف منها. وأن الروح لن تدب فيها من جديد قبل خمسين عاما قادمة. وغيرنا بها الاستراتيجية الإسرائيلية القائمة على استخدام القوة لفرض السلام الذى تريده علينا. وهو سلام أقرب إلى الاستسلام، وأجبرناها على تغيير هذه الاستراتيجية ليحل محلها استراتيجية جديدة تقوم على أساس أن السلام لها لا بد أن ينبع من الدول العربية وحدها، ولن يتم ذلك إلا بإسقاط وسيلة الحرب كوسيلة لاقرار سلام عادل شامل دائم فى منطقة الشرق الأوسط، بعد أن ثبت لديها أنها لن تستطيع فرض الاستسلام علينا بالحرب. حتى ولو فتحت الولايات المتحدة الأمريكية ترساناتها العسكرية على مصراعيها لإسرائيل، وتلقت المزيد من الدعم المعنوى والمادى والعسكرى والاقتصادى من كل حلفائها التقليديين فى الغرب بفضل اللوى اليهودى فى تلك الدول ونشاطه المكثف. وعليه فإنه إذا كان عبد الناصر قد منى بهزيمة ثقيلة. فحسبه أنه أعد للنصر الذى أحرزناه فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ أى بعد ستة سنوات من هذه الهزيمة الشنيعة، فقد واجه المسئولية باقنذار ومقدرة أدهشت كل المراقبين وأذهلت إسرائيل نفسها، فلم يكد أن يتولى المسئولية من جديد بعد تنحيه حتى أعاد تنظيم القوات المصرية وتقوية الجبهة الداخلية وجمع الصف العربى كما لم يجمعه من قبل، وحرك الدبلوماسية المصرية فى الأروقة الدولية لتثبيت الحق العربى والحق الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة اللتين احتلتهما إسرائيل فى الحرب، وأعطى الإشارة لكل الأطراف العربية بأن تستخدم علاقاتها فى المحافل الدولية التى كان من نتيجتها صدور قرار ٢٤٢ من مجلس الأمن الذى قرر حتمية الجلاء عن الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى الحرب. وما زال هذا القرار أساس أية تسوية للنزاع العربى الإسرائيلى إلى يومنا هذا، وما

زيت إسرائيل تحاول أن تفسر بنود هذا القرار لصالحها. ولكن المجتمع الدولي ما زال يرفض تلك التفسيرات ويمارس هذا المجتمع ضغطه على الولايات المتحدة الأمريكية لتقف على الأقل على الحياد وتتخلى عن موقفها المنحاز كلية لإسرائيل ظلمة أو مظلومة. إعمالاً بكل المواثيق والاتفاقات والقرارات الدولية التي صدرت، والتي تدين إسرائيل بالعدوان وتطالبها بالجللاء عن الأراضي العربية التي احتلتها بالقوة مخالفة لكل هذه القرارات. وما زال المجتمع الدولي يضغط على الولايات المتحدة للتخلى عن استخدام حقها في الفيتو لوقف قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة التي تدين إسرائيل، وتطالب بتوقيع العقوبات عليها التي جاءت في ميثاق الأمم المتحدة الموقع عليه من كافة الدول الأعضاء ومن إسرائيل نفسها.

كان عزيزا على عبد الناصر الذي وهب نفسه وثورته لتحرير الشعوب من يد الاستعمار، وفي قمة لحجائه وبعد أن تحرر العديد من الشعوب العربية والإفريقية، وبعد أن تزايد العداء للاستعمار وأصبح يطارد في كل مكان، وتعرض مصالحه لهجمات التأثيرين وتسقط قلاع الواحدة بعد الأخرى، وتنسف قواعده التي كان يركز عليها، كان عزيزا عليه والمال الثوري يغطي مساحات شاسعة في بلدان العالم أن ينقض عليه الاستعمار ويحتل ثلث بلده بالإضافة إلى أرض عربية أخرى. لذلك لم يأل جهده في إزالة آثار هذا العدوان بسرعة عن طريق عدة قنوات. أولها إعادة السفاعلية للقوات المسلحة ورفع روحها المعنوية التي أحبطتها الهزيمة. ولتحقيق هذا الهدف أقصى قادتها الذين منوا بهذه الهزيمة، وأقال الوزارة. وكان هدفه من ذلك امتصاص الصدمة الكبيرة التي أصابت الشعب وهزت الجبهة الداخلية وقد راعى في اختياره للقادة الجدد للقوات المسلحة ووزراء الوزارة الجديدة تميزهم بالكفاءات العالية التي تتطلبها هذه المرحلة. ثم تفرغ بعد ذلك لتعويض ما فقدته القوات المسلحة من سلاح لتعود به فاعليتها وروحها المعنوية التي حطمتها الهزيمة. ولم يكن أمامه سوى الاتحاد السوفيتي للحصول على السلاح المطلوب فباب الغرب مغلق بالضربة والمفتاح. لأنه والولايات المتحدة لهم تخطيط مرسوم قبل الحرب وبعدها يمنع تماما مساعدة عبد الناصر، ومن هذا كان قرار عبد الناصر بإيفاد الرئيس الجزائري هواري بومدين على رأس وفد من الرؤساء العرب إلى موسكو مرتين. كانت المرة الأولى للعتاب على

موقف الاتحاد السوفيتي المشين خلال الحرب، والمرة الثانية كانت لجس نبض الاتحاد السوفيتي فيما يختص بإعادة تسليح الجيش المصري، وربما يقصد الجيوش العربية لإشعار إسرائيل على أقل تقدير أننا لم نستسلم للهزيمة، وأنا نعد لجولات أخرى لاسترداد كرامتنا المهانة، وحدد عبد الناصر تخطيطه والمطلوب من الاتحاد السوفيتي، وأعلن شعارين كانا من أهم الشعارات التي أكسبتنا المعركة فيما بعد. الأول «ما ضاع بالقوة لا يسترد بغيرها» والثاني. أنه ليس هناك محظور في العمل السياسي. وتطبيقا لهذين الشعارين ثبت قرار وقف إطلاق النار حتى لا يعطى فرصة لإسرائيل أن تنتهز فرصة ضعف أسلحة دفاعنا وتقوم بغارات تحطم بها منشأتنا الداخلية ومرافقنا الحيوية، وفي الوقت نفسه تسخين جبهة القتال على خطوطنا مع إسرائيل باشتباكات محدودة تحرر فيها قواتنا بعض النصر لكسر حاجز خوفنا من الدخول في معركة جديدة مع العدو، وعندما تصل إلينا شحنات السلاح التي تم الاتفاق عليها مع الاتحاد السوفيتي نقوم بحرب استنزاف طويلة تستغرق من سنة إلى ثلاث سنوات تمهد إلى المعركة الكبيرة. وهذا هو ما حدث إلى أن وافته المنية في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ وقد أبلت قواتنا المسلحة بلاء حسنا في هذه الفترة في حرب الاستنزاف، وتخللتها معارك مشرفة منها معركة رأس العش على الضفة الشرقية للقناة، ومنها إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات بصاروخ مصرى، ولو امتد العمر بعبد الناصر لخاض المعركة التي خاضها الرئيس الراحل أنور السادات بعده وحل النزاع العربى - الإسرائيلى بالسلام مثلما فعل السادات بعد أن أيقن من تعامله مع الاتحاد السوفيتي عشرات السنين أنه لن يدخل حربا إلى جانبنا ضد الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت بداية هذا الخط قبوله لمبادرة روجرز ومواجهة القادة السوفيت في عقر دارهم بقراره هذا. كما أيقن عبد الناصر أن حرب الاستنزاف والمعركة الواسعة بعدهما لن تؤتى ثمارها إلا بتضامن عربى مرن يبلور قدرا من الإرادة العربية تستخدم فيها إمكانيات الدول العربية الحليفة للاتحاد السوفيتي يمكن ويهيئ المناخ للنصر في المعركة. ويعطى في الوقت نفسه فرصته للمجتمع الدولى أن يتخذ قرارا يؤكد حق العرب الثابت فى الأراضى التى احتلتها إسرائيل بالقوة. على أن تصب كل هذه المحاولات فى قناة واحدة لمواجهة المأرق الخطير الذى وضعت فيه الدول العربية بلا استثناء بعد هزيمة يونيو. ولكى يتحقق هذا الهدف كان لابد من تحاشي كل

بأمانة - وأرجوكم تبليغ مجلس الأمة الموقر أنني مقتنع بالأسباب التي بنيت عليها قرارى، وفى نفس الوقت فإن صوت جماهير شعبنا بالنسبة لى أمر لايرد، ولذلك فقد استقر رأى على أن أبقى فى مكانى، وفى الموضع الذى يريد الشعب منى أن أبقى فيه حتى تنتهى الفترة التى نتمكن فيها جميعا من أن نزيل آثار العدوان، على أن الأمر كله بعد هذه الفترة يجب الرجوع فيه إلى الشعب فى استفتاء عام.

وإننى لأشعر أن النكسة لايد أن تضيف إلى تجربتنا عمقا جديدا، ولايد أن تدفعنا إلى نظرة شاملة وفاحصة وأمينة على عملنا. وأول ما ينبغى أن نؤكد به فهم واعتزاز - وهو واضح الآن أمام عيوننا، أن الشعب وحده هو القائد وهو المعلم وهو الخالد إلى الأبد. والآن أيها الأخوة المواطنون فى كل مكان: أيديكم معى ولنبدأ مهمتنا العادلة وليمنحنا الله جميعا تأييده وهداه.

**جمال عبد الناصر**







الملك عبد الله ملك الأردن آنذاك فيما بعد من من الإدعاء بأن الجيش الأردني هو الذي حارب وأنه ينتصر وأن الجيش المصري هو الذي لم يحارب. رغم أن الجميع دمغه بالخيانة، وقرر كل المراقبين أنه لولا هذه الخيانة ولولا تخلى بعض الجيوش العربية عن التزاماتها المتفق عليها قبل بداية الحرب ما كانت انتصرت إسرائيل ولما ضاعت فلسطين ولما نجحت المؤامرة الموضوعة لتثبيت أقدام إسرائيل في المنطقة لتكون رأس حربة تهدد الأمة العربية وتنفيذ المخططات الواضحة في المنطقة، فكما رفضت الأردن دخول القوات العربية إلى أراضيها للدفاع عنها ضد إسرائيل في حرب فلسطين رفضت أيضا دخول أية قوات إلى أراضيها في مؤامرة ٦٧ طبقا لما كان متفقا عليه. وهذا أمر ثابت في محاضر الاتصالات بعد المعركة. وراد موقف الأردن المشبوه بعد حرب ٥ يونيو ما جاء في كتاب مؤامرة الصمت الذي صدر عن حرب ١٩٦٧ وما جاء في كتاب الانفجار لمحمد حسنين هيكل من تأكيد دور الأردن المريب - ودور الملك حسين بالذات - في اندلاع الحرب والتأكيد من أنه كان على علم بتفاصيل المخطط الإسرائيلي الأمريكي لسحب الجيش المصري إلى حرب يكون فيها القضاء على جمال عبد الناصر وعلى جيشه، وأنه استطاع أن يقوم بمهارة عالية بدور مزدوج تظاهر فيه بالتعاون مع العرب في حين أنه يعد العدة مع أمريكا وإسرائيل لانجاح مخططاتها، ويوم أن تداع الوثائق سيدمغ بالخيانة كما حدث للملك عبد الله في حرب فلسطين.





لا يجدون أرضاً ثابتة يستريحون عليها في أجازاتهم وإنما على كل بحار منهم أن يقضى خدمة ستة شهور متواصلة فوق المرج حتى تتاح له فرصة العودة للراحة في أحد موانئ البحر الأسود. ولما رد عليه عبد الناصر وعرض عليه ترحيبه بأن يقضى البحارة السوفييت أجازاتهم في الموانئ المصرية من الإسكندرية إلى بورسعيد كان رد بودجورنى على الفور بأنه لا داعى لبورسعيد لأنها قريبة للخطوط الإسرائيلية. وهذا قد يسبب مشككة، وكان هذا الرد موضع استغراب من عبد الناصر. ولما حاول بودجورنى فى مناقشاته الحصول على قاعدة سوفيتية فى الإسكندرية وفى مرسى مطروح وإعطاء القوات السوفيتية الرابضة فى هذه القاعدة حق رفع العلم على مقرها حتى تكون فى مأمن، وجاء الرد على عبد الناصر ليبدى رأيه فيما سمع قال: إن الاتحاد السوفيتى يطلب قاعدة بحرية فى مصر وهذا مخالف لمبادئها ومع ذلك فهو مستعد للموافقة عليه إذا كان الاتحاد السوفيتى على استعداد لأن يتحمل مسئولياتنا القتالية فى المعركة القادمة وأنه قادر أن يقنع الشعب المصرى بقبول هذه القاعدة على هذا الأساس. إذ إن القاعدة فى هذه الحالة تكون خدمة للمعركة وغيرها تكون خدمة للاستراتيجية السوفيتية، وما فهمه عبد الناصر من النقاش أن الاتحاد السوفيتى لا يريد أن يتحمل مسئوليات قتالية باعتبار أن ذلك سوف يؤدى حتما إلى مواجهة مع الأمريكين. وأضاف عبد الناصر: إذا كان بودجورنى قد خشى من نزول بحارة الأسطول السوفيتى فى بورسعيد فى أجازة لأن بورسعيد قريبة من الخطوط الإسرائيلية فإنه أى عبد الناصر لا يتصور أن يكون السوفييت مستعدين بقاعدة فى الإسكندرية لمهام قتالية مع مصر وحسم الموقف بترحيبه بقضاء البحارة لأجازاتهم فى مصر، ورفضه القاطع إعطاء السوفييت قاعدة عسكرية على أرض مصر. لأن ذلك معناه بطريقة أو بأخرى أنه يعطى للأمريكان ما أرادوه، وهو أن يظهروا مصر كدولة عميلة للاتحاد السوفيتى وهذه المواقف من الاتحاد السوفيتى حيرت عبد الناصر، وأظلمت الطريق أمامه فى محاولة استعادة الكرامة المصرية بعد الهزيمة. فحليفه الذى كان يعقد الأمل على مساعدته ليس مخلصا لهذه المساعدة، ولكن عبد الناصر بسبب حرصه على غسل عار الهزيمة التى أدت إلى احتلال أراض مصرية وعربية وفلسطينية استعان بالمستشارين، ورضخ لبعض شروط

السوفييت على أمل أن يقدموا له من المساعدة ما يحرر أرضه وأرض العرب ، ومنع إسرائيل من احتلال الضفة الغربية وضمها إلى أراضيها . فقد كان في رأيه إذا عادت مصر إلى ميدان القتال فلا بد أن تعمل أولا على إقامة توازن دولي لمواجهة الأزمة . فإن الاتحاد السوفيتي يصبح أمرا أساسيا . فلن يكون لها مصدر للسلاح سوى السلاح السوفيتي وأن وقوف السوفييت إلى جانب مصر والعرب يخلق التوازن الدولي للخروج من المشكلة . ولكن قد اتضح من اتصالنا معهم في أعقاب الهزيمة أن لهم مصالح في المنطقة يريدون المحافظة عليها ويريدون زيادتها - في نفس الوقت - باستغلال الظروف الطارئة بشرط عدم تورطهم مع الأمريكان ، ونحن لانريد منهم سوى أن يتفهموا جيدا حقيقة موقفنا ، ويعرفوا أنه إذا ضاعت المنطقة ودخلت في حضيض الأمريكان فهم أيضا سوف يخسرون موقفهم العالمي كله . ولكن السوفييت لم يدركوا كل هذه الحقائق وغلبوا رغبتهم في عدم التورط مع الأمريكان على ما سواها من الحقائق التي طرحها عبد الناصر في تخفيف تحالفه معهم . خاصة بعد أن رفضوا مده بأسلحة هجومية وأصروا على مده بالأسلحة الدفاعية فقط - اضطر مجبرا وفي حضور كل الزعماء السوفييت في مباحثاته معهم في موسكو أن يعلن قبوله لمبادرة روجرز ، وكان هذا تحولا كبيرا في موقفه هز كل الاستراتيجيات وأدخل المنطقة في مرحلة خطيرة لا يمكن معرفة نتائجها وتداعياتها عما إذا كان ذلك في صالحهما أم ضد هذه المصالح .



الناصر عن مرارته الشديدة من الموقف السوفيتى عندما قدم السوفيت له صورا لمطارات سيناء التقطها قمرهم الصناعى بعد المعركة. عندها علق لهم بقوله «الآن تجيئون لى بصور لمطارات سيناء بعد أن احتلها اليهود؟ وسألهم : لماذا لم تعطونا هذه الصور من قبل عن مطارات إسرائيل قبل بدء المعركة؟ وهنا استجمع فى ذاكرته مجمل المواقف السوفيتية المتخاذلة منه قبل المعركة وبعدها، ومنها على سبيل المثال لالحصر تلكؤهم فى إمداده بمائة طائرة كان قد طلبها منهم يوم ٦ يونيو ثانى أيام المعركة، ولكنهم عادوا بعد ذلك ووعدوه بتلبية كل طلباته من السلاح. وأضاف إلى ذلك ما أدهشه حقا من موقفهم عندما طلبوا منه - والجمعية العامة ومجلس الأمن يبحثان قضية الشرق الأوسط بعد المعركة - تقديم تنازلات لايمكن القبول بها حيث إنها كانت التنازلات التى يطالب بها الأمريكان تنفيذا لمخططهم المرسوم الرامى إلى إخراج مصر من حلبة الصراع مع إسرائيل، هذا ما أعلن عنه من مواقف الروس المتخاذلة، وما خفى يبدو أنه كان أعظم وأشنع وأفدح. فلو لم يكن هذا ما أفصح عنه عبد الناصر عن أن تنحيه عن السلطة لم يكن مدفوعا بالعواطف وحدها وإنما كانت عنده اعتبارات عملية وجزء منها متعلق بموقف الروس.

على أنه طبقا لما ورد من تقييم عبد الناصر لموقف وسياسية الروس من واقع ما ورد على لسانه من عبارات فى محاضر لقاءاته بالقادة السوفيت فى القاهرة بعد المعركة، وفى مؤتمر القمة العربية فى الخرطوم الذى عقد فى أعقابها يلوح دون أدنى عناء أنه كان يستشعر بما سيجد من أحداث فى المنطقة ويتنبأ بها. ففى هذه المحاضر جاء على لسانه أن الروس كانوا فى حالة تردد وضياع فى مواقفهم لأحداثها، وكانوا منكمشين، والأمريكان فى حالة انفلات، واعترف بخطئه بعدم معرفته أو تقديره لهذا التغيير الواضح فى الميزان الدولى، وأنه لم يحسب حسابا دقيقا لهذا التغيير، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية - بل أهمها على الإطلاق فى هزيمته. كما أنه ثابت فى هذه المحاضر التى نشرها محمد حسنين هيكى فى كتابه ١٩٦٧ «الانفجار» أنه قال لبودجرنى خلال زيارته للقاهرة صراحة - إنهم أى الروس لم يقدروا حتى الآن أن ضرب الدول غير المنحازة هو خطوة فى سياسة الأمريكان. للانفراد بالسيطرة على العالم. وإذا وقفنا نحن فسوف يزداد الضغط عليهم، وسيصل إلى

بنية العالم الثالث، ثم ينتقل إلى دول أوروبا الشرقية، ثم يدخلون عليهم فى بلادهم ذاتها. وفى مكان آخر من هذه المحاضر قال عبد الناصر للروس إنهم سوف يخسرون الحرب الباردة حتى وإن كان لديهم مليون قبلة ذرية. وهى لن تستعمل. وهكذا كان ما جاء على لسان عبد الناصر فى عام ١٩٦٧ يتحقق اليوم فى نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات - أى بعد ٢٣ عاما فقد هبت رياح عاتية على الشرق اقتعلت مبادئ الاشتراكية والشيوعية من جذورها فى الاتحاد السوفيتى الأم وفى دول أوروبا الشرقية، وسقطت نظم الحكم الديكتاتورية الشمولية بها، وحلت محلها نظم ديمقراطية تحترم حقوق الإنسان وتبيح له حرية التعبير عن آلامه وآماله تلك الحرية التى كانت مكبوتة تماما فى تلك النظم. بينما انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة وحدها على مصائر العالم دون منافسة حقيقية من الاتحاد السوفيتى الذى كاد يتقصى من هذه السيطرة ويحجمها، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد وحدها بوضع النظام الجديد لعالم ما بعد التغيير الخطير، وتنفرد وحدها بمواجهة أحداث العالم تجمعها عندما تشاء وتحركه لتنفيذ رغباتها دون قدرة أى دولة للتصدى لها، وخير مثل على هذا ما تم بشأن أزمة الخليج التى ترتبت وتخلفت عن احتلال العراق للكويت، وكما تنبأ عبد الناصر بمستقبل العلاقة بين القوتين الأعظم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وصدقت نبوءاته بعد سنوات صدقت نبوءاته أيضاً فيما يختص بمستقبل أحداث منطقة الشرق الأوسط. فمن واقع تقييمه للهزيمة بالنسبة لمصر ودول هذه المنطقة جاء فى أقواله مطالبته بالضغط على الروس من الدول العربية التى لها علاقات وطيدة معهم، ومن الدول غير المنحازة، وكل دول آسيا وأفريقيا كما طالب بأن يتحرك إخوانه فى السعودية فى قناة وضع علاقاتهم وغيرهم مع الأمريكان موضع الاختبار لاسترداد ما ضاع من أرض عربية فى معركة يونيو الخاسرة. وقال إننا نحتاج إلى فترة ما بين ستين إلى ثلاث سنوات لكى نعود إلى معركة كبيرة واسعة النطاق لإزالة آثار العدوان، وأنه ينبغى ألا تمر الفترة الحالية فى سكون دون حركة، وإنما يجب أن نشحنها باشتباكات محددة لتسخين الجبهة ولكسر حاجز الخوف لدى قواتنا الذى تخلف عن الهزيمة. كما أن هذه الفترة لابد أن نغطيها بعمل سياسى نشيط يقنع أصدقاءنا - وأولهم

الاتحاد السوفيتى - أننا فعلنا كل شىء من أجل حل عن طريق الأمم المتحدة والاتصالات الدولية، ولكنه لم يكن واثقا فى جدوى الحل السياسى. إذا لم يكن مغلقا بقوتنا وقدرتنا على تحرير أرضنا، وأنه لابد من معركة تثبت فيها هذه القوة تلك القدرة، وهو ما حدث بالضبط فبعد سنوات الاستنزاف والتحريك السياسى الداعى فى الأروقة الدولية كانت معركتنا المظفرة فى أكتوبر عام ١٩٧٣ أى بعد ستة سنوات من الهزيمة التى مسحنا بها عار الهزيمة، ولفتنا نظر العالم بها إلى قضاياها وضرورة حلها حلا عادلا دائما شاملا. والا أننا ضيعنا كالعادة بخلافات هامشية شبت بيننا عطلت حصولنا على حقوقنا كاملة، وأعطت لأعدائنا فرصة استخدامها كدليل على أننا شعب يرفض السلام متعطش للحرب، على أن الحسنة الوحيدة التى استفاد بها عبد الناصر من الهزيمة أنه تخلص عن اتهاماته وشتائمه، وقدر مواقف الدول العربية خير تقدير وقدر التزاماتها وارتباطاتها لنجت من حملته عليهم، بل وتخلص عن سياسة المجابهة لجمع شمل الموقف لمواجهة المواقف المتردية التى ترتبت على الهزيمة. فغفر لعدد منهم مواقف حامت حولها الشبهات، وأفسح صدره للاستماع إلى وجهات نظرهم - حتى ولو كانت مخالفة لوجهة نظره. يناقشهم ويحاورهم حتى يقنعوه أو يقنعهم على استمرار العلاقات بينهم بهذا الحوار وتلك المناقشة ما دامت تلك المناقشات تصب فى قنوات أمتهم العربية من محتهم، ولهذا حديث آخر بالتفصيل فى محاولة لتقييم تلك المواقف.

## اعد عبد الناصر لحرب استنزاف طويلة

### تهد الطريق لحرب تغسل عار هزيمته

لعبد الناصر فضل كبير فى إنجاح حرب أكتوبر التى غسلنا بها عار هزيمتنا فى يونيو عام ١٩٦٧ وأثبتنا بها أننا قادرون على قطع ذراع إسرائيل الطويلة فى الحرب التى كانت تتباهى وتعلن للعالم أن العرب بعد هزيمة يونيو تحولوا إلى جثة هامدة لاخوف منها. وأن الروح لن تدب فيها من جديد قبل خمسين عاما قادمة. وغيرنا بها الاستراتيجية الإسرائيلية القائمة على استخدام القوة لفرض السلام الذى تريده علينا. وهو سلام أقرب إلى الاستسلام، وأجبرناها على تغيير هذه الاستراتيجية ليحل محلها استراتيجية جديدة تقوم على أساس أن السلام لها لابد أن ينبع من الدول العربية وحدها، ولن يتم ذلك إلا بإسقاط وسيلة الحرب كوسيلة لإقرار سلام عادل شامل دائم فى منطقة الشرق الأوسط، بعد أن ثبت لديها أنها لن تستطيع فرض الاستسلام علينا بالحرب. حتى ولو فتحت الولايات المتحدة الأمريكية ترساناتها العسكرية على مصراعيها لإسرائيل، وتلقت المزيد من الدعم المعنوى والمادى والعسكرى والاقتصادى من كل حلفائها التقليديين فى الغرب بفضل اللوى اليهودى فى تلك الدول ونشاطه المكثف. وعليه فإنه إذا كان عبد الناصر قد منى بهزيمة ثقيلة. فحسبه أنه أعد للنصر الذى أحرزناه فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ أى بعد ستة سنوات من هذه الهزيمة الشنيعة، فقد واجه المسئولية باقتدار ومقدرة أدهشت كل المراقبين وأذهلت إسرائيل نفسها، فلم يكدر أن يتولى المسئولية من جديد بعد تنحيه حتى أعاد تنظيم القوات المصرية وتقوية الجبهة الداخلية وجمع الصف العربى كما لم يجمعه من قبل، وحرك الدبلوماسية المصرية فى الأروقة الدولية لتثبيت الحق العربى والحق الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة اللتين احتلتهما إسرائيل فى الحرب، وأعطى الإشارة لكل الأطراف العربية بأن تستخدم علاقاتها فى المحافل الدولية التى كان من نتائجها صدور قرار ٢٤٢ من مجلس الأمن الذى قرر حتمية الجلاء عن الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى الحرب. وما زال هذا القرار أساس أية تسوية للنزاع العربى الإسرائيلى إلى يومنا هذا، وما

زادت إسرائيل تحاول أن تفسر بنود هذا القرار لصالحها. ولكن المجتمع الدولي ما زال يرفض تلك التفسيرات ويمارس هذا المجتمع ضغطه على الولايات المتحدة الأمريكية لتقف على الأقل على الحياد وتتخلى عن موقفها المنحاز كلية لإسرائيل ظالمة أو مظلومة. إعمالاً بكل المواثيق والاتفاقات والقرارات الدولية التي صدرت، والتي تدين إسرائيل بالعدوان وتطالبها بالجللاء عن الأراضي العربية التي احتلتها بالقوة مخالفة لكل هذه القرارات. وما زال المجتمع الدولي يضغط على الولايات المتحدة للتخلى عن استخدام حقها في الفيتو لوقف قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة التي تدين إسرائيل، وتطالب بتوقيع العقوبات عليها التي جاءت في ميثاق الأمم المتحدة الموقع عليه من كافة الدول الأعضاء ومن إسرائيل نفسها.

كان عزيزا على عبد الناصر الذي وهب نفسه وثورته لتحرير الشعوب من يد الاستعمار، وفي قمة نجاحه وبعد أن تحرر العديد من الشعوب العربية والإفريقية، وبعد أن تزايد العداء للاستعمار وأصبح يطارد في كل مكان، وتعرض مصالحه لهجمات الثائرين وتسقط قلاع الواحدة بعد الأخرى، وتنسف قواعده التي كان يرتكز عليها، كان عزيزا عليه والمد الشورى يغطي مساحات شاسعة في بلدان العالم أن ينقض عليه الاستعمار ويحتل ثلث بلده بالإضافة إلى أرض عربية أخرى. لذلك لم يأل جهدا في إرالة آثار هذا العدوان بسرعة عن طريق عدة قنوات. أولها إعادة الفاعلية للقوات المسلحة ورفع روحها المعنوية التي أحبطتها الهزيمة. ولتحقيق هذا الهدف أقصى قادتها الذين منوا بهذه الهزيمة، وأقال الوزارة. وكان هدفه من ذلك امتصاص الصدمة الكبيرة التي أصابت الشعب وهزت الجبهة الداخلية وقد راعى في اختياره للقادة الجدد للقوات المسلحة ووزراء الوزارة الجديدة تميزهم بالكفاءات العالية التي تتطلبها هذه المرحلة. ثم تفرغ بعد ذلك لتعويض ما فقدته القوات المسلحة من سلاح لتعود به فاعليتها وروحها المعنوية التي حطمتها الهزيمة. ولم يكن أمامه سوى الاتحاد السوفيتي للحصول على السلاح المطلوب فباب الغرب مغلق بالضربة والمفتاح. لأنه والولايات المتحدة لهم تخطيط مرسوم قبل الحرب وبعدها يمنع تماما مساعدة عبد الناصر، ومن هذا كان قرار عبد الناصر إيفاد الرئيس الجزائري هواري بومدين على رأس وفد من الرؤساء العرب إلى موسكو مرتين. كانت المرة الأولى للعتاب على

## خال علينا مخطط خداع المؤسسة العسكرية

### الإسرائيلية للمرة الثانية فكانت النكسة

مهما تعمقنا فى أسباب نكسة يونيو عام ١٩٦٧ فإن الأسباب التى نهتدى إليها لن تصل إلى حجم هذه النكسة، فإذا قلنا مثلاً إن مراكز القوى التى رعاها وحماها المشير عبد الحكيم عامر هى التى حجبت الحقيقة المرة التى كانت تعيشها الجبهة الداخلية ومؤسساتنا العسكرية فبينما كانت إسرائيل مشغولة بالتخطيط للحرب وتعد لها وتعلو على كل ما عداها من أمور، وبينما كانت إسرائيل مشغولة بالحصول على أحدث الأسلحة وإعداد جيشها لسائر الاحتمالات، إعدادة للحرب التقليدية وإعدادة لحرب العصابات والهجوم الجوى والبرى والبحرى كانت مؤسساتنا العسكرية تنهى آثار وتداعيات حرب اليمن التى رج فيها جيشنا دون ما هدف واضح يرفع من الروح المعنوية لهذه القوات، وقبل ذلك كانت قيادتنا العسكرية مشغولة تماماً فى لجان تصفية الإقطاع وإرهاب المواطنين وتعذيبهم بفضل صلاح نصر رئيس المخابرات العامة بانحرافات الرهيبة وتصرفاته الوحشية واللا إنسانية التى اعترف بها عبد الناصر - لما ووجه بها بعد النكسة - بأنه لا علم له بكل هذه التصرفات. وكان البلاد كان يحكمها حكومتان حكومة يديرها المشير عامر وصلاح نصر وأعوانهما ومريدوهما والمتنفعون والمنافقون، وحكومة يديرها عبد الناصر ووزراؤه ورجاله. ومن هنا جاء لقب عبد الحكيم عامر الذى كانت تناديه به شلته وهو ييسا ريس ويطلقون عليه لقب الرئيس مكرر.

الخلاصة أن إسرائيل كانت تعرف كل شئ عنا ونحن لا نعرف عنها أى شئ كما اتضح فيما بعد من التحقيقات التى جرت بعد النكسة التى اعترف فيها الفريق أول محمد صدقى محمود أن مصر لم تعرف أن إسرائيل حصلت من بريطانيا قبل المعركة بسنوات على الخطط التفصيلية لعمليات الطيران البريطانى عام ١٩٥٦ ومن ثم اتخذت من هذه الخطط السابقة نموذجاً مؤسس عليه الخطط اللاحقة، ولو أن - والكلام للفريق أول صدقى - أحداً فى مصر عرف بذلك - قبل قوات الأوان - لوقع التنبيه إلى أن إسرائيل تفكر وتخطط لضربة واسعة المدى من نوع ما قام به الطيران البريطانى عام ١٩٥٦ - ولما ظلت

موقف الاتحاد السوفيتى المشين خلال الحرب، والمرة الثانية كانت لجس نبض الاتحاد السوفيتى فيما يختص بإعادة تسليح الجيش المصرى، وربما يقصد الجيوش العربية لإشعار إسرائيل على أقل تقدير أننا لم نستسلم للهزيمة، وأنا نعد لجولات أخرى لاسترداد كرامتنا المهانة، وحدد عبد الناصر تخطيطه والمطلوب من الاتحاد السوفيتى، وأعلن شعارين كانا من أهم الشعارات التى أكسبتنا المعركة فيما بعد. الأول «ما ضاع بالقوة لا يسترد بغيرها» والثانى. أنه ليس هناك محذور فى العمل السياسى. وتطبيقا لهذين الشعارين ثبت قرار وقف إطلاق النار حتى لا يعطى فرصة لإسرائيل أن تنتهز فرصة ضعف أسلحة دفاعنا وتقوم بغارات تحطم بها منشأتنا الداخلية ومرافقنا الحيوية، وفى الوقت نفسه تسخين جبهة القتال على خطوطنا مع إسرائيل باشتباكات محدودة تحرر فيها قواتنا بعض النصر لكسر حاجز خوفنا من الدخول فى معركة جديدة مع العدو، وعندما تصل إلينا شحنات السلاح التى تم الاتفاق عليها مع الاتحاد السوفيتى نقوم بحرب استنزاف طويلة تستغرق من سنة إلى ثلاث سنوات تمهد إلى المعركة الكبيرة. وهذا هو ما حدث إلى أن وافته المنية فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ وقد أبلت قواتنا المسلحة بلاء حسنا فى هذه الفترة فى حرب الاستنزاف، وتخللتها معارك مشرفة منها معركة رأس العش على الضفة الشرقية للقناة، ومنها إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات بصاروخ مصرى، ولو امتد العمر بعبد الناصر لخاض المعركة التى خاضها الرئيس الراحل أنور السادات بعده وحل النزاع العربى - الإسرائيلى بالسلام مثلما فعل السادات بعد أن أيقن من تعامله مع الاتحاد السوفيتى عشرات السنين أنه لن يدخل حربا إلى جانبنا ضد الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت بداية هذا الخط قبوله لمبادرة روجرز ومواجهة القادة السوفيت فى عقر دارهم بقراره هذا. كما أيقن عبد الناصر أن حرب الاستنزاف والمعركة الواسعة بعدها لن تؤتى ثمارها إلا بتضامن عربى مرن يملو قدرا من الإرادة العربية تستخدم فيها إمكانيات الدول العربية الحليفة للاتحاد السوفيتى يمكن ويهيئ المناخ للنصر فى المعركة. ويعطى فى الوقت نفسه فرصته للمجتمع الدولى أن يتخذ قرارا يؤكد حق العرب الثابت فى الأراضى التى احتلتها إسرائيل بالقوة. على أن تصب كل هذه المحاولات فى قناة واحدة لمواجهة المأرق الخطير الذى وضعت فيه الدول العربية بلا استثناء بعد هزيمة يونيو. ولكى يتحقق هذا الهدف كان لابد من تحاشي كل

الافكار فى القيادة العليا المصرية حبيسة لتصوراتها عن حدود الضربة الجوية الأولى، وأنها سوف تكون قاصرة على حدود ومطارات وقوات سيناء. هذه المعلومات التى أدلى بها الفريق أول. صدقى محمود بعد النكسة استقاها على الطبيعة من واقع الخرائط التى وجدت فى حوزة احد الطيارين الإسرائيليين التى سقطت فى الاراضى المصرية فى اليوم الأول للنكسة، وتبين منها دقة المعلومات المتوفرة لدى طيارى إسرائيل عن مطاراتنا، وتبين بوضوح تام شكل هذه المطارات وأبعادها وأماكنها. وأيضا مواقع الصواريخ الموجهة والمضادة. للطائرات ومناطق تدميرها على الارتفاعات المنخفضة، ومواصفات أغلب محطات ردارنا وأشكالها، ومواصفات طائراتنا وخصائصها الفنية وكيفية التعامل معها، وهذا كله معناه أننا دخلنا حربا لم نكن نعرف عنها شيئا عن العدو الذى ستواجهه قواتنا المسلحة. ومعنى ذلك اننا وقعنا صكك هزيمتنا قبل خروج الطلقة الأولى. حيث إن كسب المعارك الحربية يعتمد فى المقام الأول على مدى توافر المعلومات عن العدو. وهذا وحده السبب الرئيسى فى النكسة التى منيت بها قواتنا المسلحة، وأما حجم هذه النكسة فلها أسباب أخرى عديدة وأهمها أننا خدعنا للمرة الثانية من إسرائيل، وكان ينبغى ألا نخدع. فمن يلدغ من جحر لا ينبغى أن يلدغ منه مرة ثانية.

وتفسير ذلك أننا دخلنا حربا مع إسرائيل قبل النكسة بأحد عشر عاما وهى حرب العدوان الثلاثى، وفهمنا منها تخطيط المؤسسة العسكرية الإسرائيلية الذى لم تتغير فى الحربين. وفى الأولى كان موسى ديان رئيسا لهيئة أركان حرب إسرائيل وفى الثانية رقى إلى وزير الدفاع، وقد اعتمد فى حربه الأولى على الإجهاز على سلاح طيراننا بالكامل ليشل حركته وتصبح سماءنا وأرضنا مفتوحة بتعامل معها مع قواتنا بحرية تامة. وكان الدرس الذى وعيناه من هذه الحرب وفهمه رجل الشارع أن تخطيط إسرائيل فى أية حرب تخوضها بيننا لابد وأن نعتمد على نظرية يسميها العسكريون «الاقتراب غير المباشر» وهى نظرية تعتمد على عدم التورط فى القتال والالتحام مع العدو. وبناء على هذه النظرية خطط العسكريون قرار انسحاب قواتنا فى عام ١٩٥٦ وقرار انسحابها عام ١٩٦٧ على أساس إن هذين القرارين خدما إسرائيل وساعدا على تنفيذ مخططاتها. وقد تغلبنا عليها فى

حرب ١٩٧٣ المظفرة لأننا لم ننسحب من الميدان، والتحمتنا معها ولم تتحمل شجاعة جنودنا وفدائيتها الفريدة، وكان ينبغى على قيادتنا العسكرية ألابتلع الطعم للمرة الثانية فى حرب ١٩٦٧ بعد أن ابتلعوه فى حرب ١٩٥٦ وكان ينبغى اتخاذ الإجراءات لأن يبقى سلاح طيراننا سليما، والحق يقال أن هذه الحقيقة لم تغب عن بالهم وهم يخططون لحرب ٦٧ وإنما فاتهم جزئية منها - بناء على معلومات خاطئة - منه أن بعد المسافة يمنع إسرائيل من تدمير سلاح الطيران فى القاهرة وإنما يدفعها إلى تدمير طائرتنا فى مطارات سيناء، ولكنهم فوجئوا بأن سلاح الطيران الإسرائيلى قام فى طلعتة الأولى بتدمير ٧٥٪ من سلاح طيراتنا. سواء المرائب منها فى المطارات المنتشرة حول القاهرة. ففقدوا توازنهم وأصيبوا بصدمة لم يفيقوا منها إلاعلى أنباء هزيمة لجيشهم لم تحدث لجيش قبله، وأغلب الظن إنها لن تحدث لجيش بعده، وللحق والحقيقة من واقع ما أذيع من أسرار النكسة أنه كانت هناك أخطاء قاتلة فى التشكيلات والإعداد والتخطيط قبل المعركة بسنين، وكان ذلك معروفا لدى إسرائيل شجعها لا أن تجعل من حرب ١٩٦٧ مجرد هزيمة وإنما جعلها - كما قال جمال عبد الناصر - تستكمل خطة أمريكية - إسرائيلية هدفها الأول أن تترك فى معنويات جيشنا جرحا غائرا لا يندمل تذكر به الأمة بأن عودتها إلى ميدان القتال فى يوم من الايام أمر لا ينبغى التفكير فيه.

على أنه إذا كانت أخطاء مؤسساتنا العسكرية فادحة. فإن أخطاء إعلامنا فى هذه الفترة أفدح. حيث وقع تماما فى المصيدة التى نصبها له الإعلام الإسرائيلى. فقد أمنت وسائل إعلامنا فى ترديد نغمة تفوقنا على إسرائيل فى كل شىء. مع أن الواقع القاتم كان ينافى ذلك تماما. وزاد من ترديد هذه النغمة نقله لكل ما كانت تذيبه وسائل الإعلام الإسرائيلى ونشره عمدا لتحقيق أهداف ساعدتها فى نجاح مخططاتها العسكرية، فقد استخدمت كل ما تذيبه وسائل إعلامنا فى التأثير على دول البيان الثلاثى. وهى أمريكا وإنجلترا وفرنسا التى تعهدت فى عام ١٩٥٠ بأن تجعل تسليح دولة إسرائيل وحدها يعادل تسليح كافة الدول العربية لتحاشى احتكاك الحرب فيما بين تلك الدول، واستخدمت إسرائيل نغمة الإعلام المصرى فى هذه الفترة للإخلال بالتوازن الذى أقره البيان الثلاثى، واستطاعت أن تحصل

من تلك على أضعاف ما كانت تحصل عليه منها. حتى أصبحت أقوى من الدول العربية مجتمعه وما زالت إسرائيل تسير في هذا المخطط إلى يومنا هذا، بادعاء أن ذلك دفاع عن أمنها ووجودها. إذ انها تعيش في بحر من كراهية العرب. بل تمادت في ذلك إلى حد محاولة إقناع العالم بأن احتفاظها بالأراضي العربية المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان السورية كمناطق استراتيجية تستشعر منها الخطر عليها قبل أن تتعرض له، والغريب أن هناك في العالم من يستمع إلى هذا المنطق الغريب ويوافقها عليه ويخيل عليه ما تدعيه من أنها حمل وديع قدر له أن يعيش في وسط ذئاب تعمل على افتراسه، لتغطي بذلك مخططاتها الاستيطانية الاستعمارية والاحتلالية وصولاً إلى تحقيق الأمل الذي يتصوره الكنيست الإسرائيلي، وهو إسرائيل الكبرى التي تمتد حدودها من النيل إلى الفرات - أي أن مخططات الخداع الإسرائيلية ما زالت مستمرة منذ تاريخ النكسة إلى يومنا هذا، وستستمر هذه المخططات ما دمنا لا نفهمها ولا نتخذ اية إجراءات ضدها. ويوم أن تشعر إسرائيل أننا فهمنا مخططاتها ستضطر لقبول السلام وتتوقف عن أطماعها غير المحدودة بحدود.





يعد فيه ضابط واحد ممن عاصروا ضباط الثورة أو زملاءهم.

والسؤال الآن: هل كان تنحى عبد الناصر إجراء تكتيكيا؟ الإجراءات التكتيكية التى قام بها فى مواجهة الأحداث والازمات التى تعرضنا إليها وغيرها الذى لم نشر إليه. والواقع أن كل الأحداث التى مرت بعبد الناصر منذ قيام الثورة إلى وفاته لا تقل خطرا على الثورة من خطر النكسة. ولكن عبد الناصر واجهها برباطة جأش وهدوء أعصاب ساعدته على مواجهة تلك الأحداث وتدارك خطرهما، ولكنه فى النكسة أصيب باليأس وفقد أعصابه تماما، وأيقن أن النظام كله قد انتهى وأنه - أى عبد الناصر وزملاؤه فى انتظار من يحاسبهم بعد أن فقد النظام شرعيته بفشله فى حماية الوطن. ومن هنا أغلب الظن أن تنحى عبد الناصر لم يكن أمراً تكتيكياً - كما فعل فيما سبق من أحداث - وإنما التنحى كان نهائياً وترشيحه لذكربا محبى الدين ليتولى أمر الدولة من بعده كان صادقا فيه، ولم يكن محاولة لامتنصاص آثار الهزيمة. فلم يكن بدر بخلد عبد الناصر أن الشعب سيطالب بعودته إلى السلطة ويرفض ترشيح غيره لتولى المسئولية ويجدد ثقته فى قدراته على تخطى المحنة وقيادة مصر إلى بر الأمان. فقد كان عبد الناصر من هول الكارثة مشلول التفكير عاجزا عن التخطيط كما خطط من قبل للأحداث المهولة التى مرت به من قبل. كان كالغريق الذى ينتظر من ينتشله من الغرق وكان الشعب هو الذى انتشله من الغرق. فهو الذى خطط لكل الأحداث السابقة، ولكن الشعب هو الذى خطط لإنقاذه هذه المرة. وهو جميل طوق عنقه إلى أن وافته المنية بعد سنوات ثلاث من النكسة بذل فيها قصارى جهده ليثبت لهذا الشعب أنه جدير بثقته، ولكن الأجل لم يمهل له لرد الجميل. ولكن يكفيه أنه فى خلال تلك السنوات الثلاث قد أعاد تنظيم قواته المسلحة ورفع معنوياتها التى كانت وصلت إلى حد الاستسلام التام للهزيمة بما وفر لها من سلاح ومعدات جديدة أمد بهها الاتحاد السوفيتى تكفيرا لموقفه المتخاذل إبان الأزمة. ويكفى عبد الناصر أنه خلال تلك السنوات الثلاث استطاع أن يصفى مراكز القوى ويصفى جيوبها التى كانت العنصر الرئيسى المتسبب فى هذه النكسة وأصبحت الأمور طبيعية ولما عادت الأمور إلى طبيعتها لقن إسرائيل درسا أفهمها أن مصر حية إلى الأبد، وأنها ستثار لنفسها يوما، وكان هذا الدرس بداية حرب الاستنزاف بمعركة رأس العش وإغراق الغواصة إيلات بصاروخ مصرى الصنع.











الرئيس نيكسون، وأقول له: إن الولايات المتحدة الأمريكية على وشك أن تقوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الأمة العربية. . إن الولايات المتحدة الأمريكية حين تقوم بخطوة أخرى على طريق تأكيد التفوق العسكرى لصالح إسرائيل سوف تفرض على الأمة العربية موقفاً لارجعة فيه. موقفاً علينا أن نستنتج منه ما هو ضرورى، وذلك سوف يؤثر على كل علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالأمة العربية لعشرات السنين. وربما لمئات السنين. أننى أقول له وهو يعرف أننى أعنى ما أقول أن الأمة العربية لن تستسلم ولن تفرط، وهى تريد سلاماً حقيقياً ولكنها تؤمن بأن السلام لايقوم على غير العدل. . إلى كل ما جاء فى هذا الخطاب من إعلان من جانب عبد الناصر أنه يطالب بحل سلمى مشرف يقر الحل العادل والشامل والدائم للصراع العربى - الإسرائيلى. ويكفى أن يوجه عبد الناصر هذا الخطاب إلى نيكسون بالرغم من عدم وجود أية علاقات بين مصر وأمريكا، وهكذا أدرك عبد الناصر أنه ليس فى مقدوره محو إسرائيل من الوجود. كما كان يمنى الشعب المصرى والشعوب العربية جميعاً منذ قيامه بثورته، ولكن إدراكه هذا جاء متأخراً جداً.

على أية حال فإنه يذكر لعبد الناصر أنه منذ هزيمة يونيو إلى أن وافته المنية لم يقدم على عمل أرعن، ولم يركب موجة القيادة الجديدة للقوات المسلحة بعد الهزيمة التى كانت تصور له أن فى مقدورها تحرير سيناء والوصول إلى الحدود الدولية مع إسرائيل فى نهاية عام ١٩٧٠ لأنه فى هذه المرة كان مطلعاً تماماً على أحوال الجيش ودرجة استعدادة لهذه المهمة. وكان على قناعة تامة بأه من المستحيل أن ينجز جيش هذه المهمة بنجاح وهو لايملك الأسلحة الهجومية المطلوبة لها. وكل ما يملكه أسلحة دفاعية تخترقها إسرائيل كل يوم وتنفلد إلى ضرب أعماق مصر، وأنه مازال أمامه سنوات كى تتوفر له تلك الأسلحة الهجومية، ويقوم بالتدريب عليها، فلم يغرر به كما غرر به فى عام ١٩٦٧.

عندما أعلنت قيادة الجيش أنها قادرة على إحراز نصر على إسرائيل وأنه لما أعطى إشارة البدء تبين له أنها قيادة من ورق، وتفرقت أيدى سبا عند بدء المعركة ودمر سلاحها الجوى بأكمله فى ساعات، لم يردع عبد الناصر أن يقع فى هذا الخطأ مرة أخرى، ولذلك رفض

التصديق على خطة الفريق محمد فوزى رقم ٢٠٠ وأمره بالتركيز على تنفيذ الخطة «جرانيت» بعد انقضاء الفترة الأولى من وقف إطلاق النار مباشرة فى نوفمبر عام ١٩٧٠ ، ويرفضه هذا حمى مصر من هزيمة كانت ستكون أفدح من هزيمة يونيو .

وكانت إسرائيل قد حققت كل أهدافها فى القضاء نهائياً على الجبهة المصرية التى كانت ترتعد منها ، وتعمل لها ألف حساب . فلم تستطع الاشتباك معها وحدها وإنما كل اشتباك معها كان باشتراك الغرب كله أو بعضه . يمدّها بالعون المادى والعسكرى . بل ودخول المعركة معها ، على أنه لو كان عبد الناصر واثقاً من النصر لاعطى إشارة البدء فى تنفيذ الخطة ٢٠٠ على الفور . فقد كان حريصاً على إزالة آثار الهزيمة وإحراز نصر عسكرى بأسرع مايمكن . يرتب عليه نشاطاً سياسياً مكثفاً لحل نزاع الشرق الأوسط . كما كان حريصاً فى الوقت نفسه ألا يعرض نفسه لهزيمة ثانية لايقوى على احتمالها تهز الثقة التى أولاه إياها الشعب ومزال ينتظر منه الكثير ، وقد كان حرصه على استمرار هذه الثقة وتقويتها لايعدله أى حرص آخر ، وكان واثقاً أن طريق استمرار هذه الثقة هو عمل عسكرى ناجح ، ولذلك وجه جل اهتمامه على تطهير الجيش من الانهزاميين لصنع جيش قادر على الحرب يرد الكرامة التى أهينت ويحسن سمعة المقاتل المصرى التى وصلت إلى الحضيض .

وفى الوقت نفسه كان حريصاً على الظهور أمام الشعب بمظهر القوة حتى يقر فى ذهنه قدرته على تحقيق كافة آماله ، ولذلك كان حريصاً أن يحجب عنه كل ما يظهره بالضعف ، وفى هذا المجال بلغ اهتمامه بإخفاء المرض الذى أشتد عليه بعد الهزيمة ، وزاد من نسبة السكر فى جسمه التى أثرت على نشاطه وتحركه ، فكان يحرص الحرص كله وهو يرتاد مبنى قصر القبة ومبنى الحكومة المركزية فى هليوبوليس أن يخلى طريقه إلا من حرسه الخاص جداً حتى لايشهد غيره تعثره وهو يصعد درجات السلم القليلة فى طريق مكتبه حتى أن أحد المندوبين نشر خبراً مؤداه أنه أمضى ساعتين فى عيادة قصر القبة فثارت ثورته وطلب التحقيق مع هذا المندوب . . ولما نشر مندوب آخر أن مجلس الوزراء عقد فى منزله

- ملمحاً بطريق غير مباشر أن عقد هذا المجلس في منزله بسبب عدم قدرته على الحركة - ولما نقلت الإذاعة النبأ في نشرتها الصباحية وفي أقوال الصحف تملكه الغضب والغليظ حتى أنني فوجئت - وكنت مندوباً للإذاعة في رئاسة الجمهورية. باتصال تليفوني من السيد سامي شرف في ساعة مبكرة في منزلي بأحد الأيام ليسألني عما إذا كنت الذي وافيت الإذاعة بهذا النبأ. وبدأ حديثه بالإطراء على هذا النبأ ولكنني لم أقع في الفخ. فمن طبعي ألا أنسب لنفسى مجداً لم أفعله، ونفيت له أن أكون أنا صاحب النبأ. فسألني إذا لم أكن أنا صاحبه فمن أين حصلت عليه الإذاعة؟ فقلت له: ربما تكون قد نقلته من إحدى الصحف أو أذاعته فقط في نشرة أقوال الصحف، وانتهى الحديث التليفوني - وكانت الساعة قد قاربت الثامنة صباحاً - ولعب الفأر في عبي وبعد نصف ساعة كنت في قصر القبة ولشد ما كانت دهشتي أنني علمت أن تحقيقاً يجري مع المندوب صاحب النبأ الذي نشرته جريدته دون الجرائد الأخرى. فأمنت بأن عبد الناصر في هذه المرحلة كان يعوقه المرض لإنجاز ما يريد وأنه لو كان صحيحاً معافى لكان له شأن آخر.



الدكتور عبد العظيم رمضان الذى استنبط هذا الاتجاه فى تفكير إسرائيل من واقع ما جاء على لسان قادتها خلال حرب الاستئناف . ومنها ما جاء على لسان واحد منهم كان قد قاد حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وهو موسى ديان الذى جاء فى واحد من أحاديثه الصحفية قوله : « ليس هناك خطر يمكن أن يوقف إسرائيل عن التوغل داخل مصر طالما كان بوسعها ذلك وإلى أبعد عمق نستطيع . فالدفاع عن عمق على هيئة مصر كما كنت من قبل ، فقد اهتزت شرعيته السياسية وثبت فشل تنظيماته السياسية والعسكرية . فلم يعد يحظى منهم بثقتهم المطلقة فى قدرته على اجتياز تلك المحنة ، ولم يعد الزعيم الذى كان يقلق الغرب وإسرائيل معاً . وإنما أصبح الزعيم الذى فقد بريقه ومجده ، ويحاول أن يستعيد هذا البريق وذلك المجد وهو يقترب من خريف العمر وفى اخرج فترة يمر بها . فلا الظروف يمكن أن تساعد ، ولا الصنعة يمكن أن تعاون .

ونحن العرب تعودنا من قادتنا على مدى أجيال طويلة من الزمان إلا يصحروا ويفيقوا إلا إذا حلت بهم الأزمات وطحتهم المحن والهزائم ، وفى أوقات تخلى شعوبهم عنهم يتلکأون فى شد أزرهم ويتباطأون فى مد طرق النجاء إليهم - كما تعودنا فى حال قوتهم لا يستخدمونها لتحسين حال شعوبهم وإنما يستخدمونها فى إحكام قبضة الدكتاتورية عليهم وكنم انفسهم ، وربما إذلالهم والتباهى بقوتهم فى تخويف بعضهم والعدوان على بعضهم البعض ، ويعطون بذلك الفرصة ليشب عليهم أعداؤهم الذين يذيقونهم العسف والهوان عدوا والإذلال . حدث ذلك مع عبد الناصر ومع من سبقوه من القادة فى مختلف البلاد العربية ، ومن جاءوا بعده ، والمظلوم الوحيد هم شعوبهم ، وهم المخطئون أيضاً فهم الذين يمدون لهم الحبل على الغارب ويشجعون هؤلاء القادة على التماذى فى الأخطاء وارتكاب أفظع الجرائم فى حقهم ، صورة قائمة مأساوية انفرد بها العرب دون سائر شعوب العالم ، وقد تكررت الصورة فى شخص صدام حسين بعد عبد الناصر . فقد هدد إسرائيل بقوته كما فعل عبد الناصر ، ولكنه فاجأنا باستخدام هذه القوة فى العدوان على أشقائه العرب ، ولم يستخدمها ضد إسرائيل ولو استخدمها فى مكانها الصحيح لكان حالنا غير الحال المتردى الذى نحن فيه .

## إسرائيل تكون فى سماء القاهرة

ثم قال إن الأهداف السياسية من غارات العمق هى المحافظة على معنويات الشعب الإسرائيلى وتقويض الزعامة السياسية والعسكرية فى مصر، أما الأهداف العسكرية فهى منع مصر من بدء حرب شاملة أخرى، وتمكن القوات الإسرائيلية من الصمود على طول جبهة القناة.

جاءت تصريحات ديان هذه فى شهر يناير ١٩٧٠ أى بعد مرور حوالى ثلاث سنوات وسبعة شهور على انتصار إسرائيل العسكرى الساحق على القوات المصرية وتدمير معداتها وروحها المعنوية. قامت خلالها إسرائيل باستبدال تفوق طيرانها وانفتاح سماء مصر أمامه بعمليات جريئة على طول جبهة القناة أثبتت بها أوجه الخلل والعجز فى النظام الدفاعى المصرى لإثارة الشعب المصرى على قيادته ليثور ويسقطها، وهى لم تسقط فى أعقاب هزيمة يونيو كما كانت تتخيل وتحلم، وإنما فوجئت بأن نظام الدفاع المصرى رغم خلله وعجزه وتخلفه فى المعدات قد بادلها الهجمات وأحدث لها بعض الخسائر، ولما فشلت هذه العمليات فى تحقيق أهداف إسرائيل فى إسقاط النظام وتهيج الشعب عليه، وإنما زادت من تصميم القيادة العسكرية المصرية على المضى قدماً فى الحرب بتأييد من غالبية الشعب.

وتصريحات ديان هذه صدرت بعد أن قامت إسرائيل بغارات جوية فى عمق الأراضى المصرية فى التل الكبير وفى مناطق مختلفة فى الوجه البحرى والقاهرة والإسكندرية وامتدت هذه الغارات إلى بعض الأهداف المدنية، وراح ضحيتها آلاف المدنيين العزل، واعتلرت القيادة الإسرائيلية عنها بادعاء أنها وقعت بطريق الخطأ، وعجزت معداتها عن تحديد الهدف، ولكن الحقيقة أنها قصدت بإغارتها على الأهداف المدنية إصابة الشعب المصرى بحالة من اليأس والإحباط ليتخلص من عبد الناصر ويسقطه وهو الذى لم تسقطه هزيمة يونيو، ولكن الشعب المصرى بحضارته العريقة وأصالته لم يتخل عن عبد الناصر. بالرغم من قناعته أنه بعد الهزيمة لم يعد الزعيم القوى الذى كان كالأسد عندما يزار تدخل كل الحيوانات فى أقصاها خوفاً منه، ولم يعد الزعيم القوى القادر على الحفاظ على مصر.

## احتوى عبد الناصر تردد الروس والصراع العربى

### ولم يفقد أعصابه لحظة.. إلى أن خرج من المحنة

بوصول المدد العسكرى الروسى وانتهاء مصر من بناء حائط الصواريخ تغير ميزان القوى تماماً، واضطرت إسرائيل إلى تغيير استراتيجيتها بعدما نجح عبد الناصر فى حملة الجبهة الداخلية والجبهة العسكرية من الانهيار، وأصبحت إسرائيل لا تستطيع اختراق عمق مصر بطائراتها الفانتوم. عندئذ عرفت إسرائيل أن المصريين عبروا الهزيمة وقرروا الدخول فى معركة ثار اليوم أو غدا وأن أملها ومعها الأمريكان والغرب. فى أن هزيمة يونيو ستهى الناصرية والنزاع العربى - الإسرائيلى هو مجرد سراب لا وجود له. وتوقف الإعلام الإسرائيلى والغربى عن تصوير القوات المسلحة الإسرائيلية بالأسطورة التى لا تقهر، وأن لديها ترسانة عسكرية يصعب تخطيطها أو التغلب عليها. لأنها تملك الذراع الطويلة التى تمتد فى لحظة أو لحظات إلى أعماق الأعماق إلى القاهرة والاسكندرية والصعيد. إلى دمشق وعمان تدمر وتخرّب، وأنه لم يصبح أمام العرب سوى التسليم بلا شروط للمطامع الإسرائيلية. لأنهم هزموا فى الحرب الأخيرة على طريق الصراع الطويل، ولأن إسرائيل تملك العلم والتكنولوجيا والحضارة، والعرب يملكون التخلف والجهل والفقر والمرض، وأنهم.. أى العرب - سقطوا فى بئر لا قرار له، وهيهات هيهات أن يخرجوا من ظلمته ليروا النور من جديد.

هذا التغيير المفاجئ فى ميزان القوى الذى أحدثه عبد الناصر بعد جهد خارق على المستوى الداخلى والخارجى. تحمل خلاله تردد الروس وضياعهم وتلكأهم فى تحديث سلاح القوات المصرية وصراع العرب الذين ينتمون للروس، والغرب الذى ينتمون إلى الأمريكان. إلى أن استطاع الاستفادة من قدرة الاثنين معا لتخفيف حدة هزيمته من الناحية العسكرية والناحية السياسية.. بدأت إسرائيل تحصن مواقعها على الجبهة المصرية تحسبا للمعركة القادمة فشيدت خط بارليف الحصين الذى قال عنه موسى ديان ساخراً - وقادة إسرائيل تناقش احتمال قيام المصريين بالهجوم عبر القناة - «لأنه يلزم تدعيمها بسلاحى المهندسين الروس والأمريكان معا». وقيل عنه أن تخطيطه يتطلب استخدام عدد من القنابل الذرية، ولم تكتف إسرائيل بخط بارليف الحصين. بل جعلت من قناة السويس سدا منيعاً

فى وجه القوات المصرية إذا ما أرادت الهجوم عليها بما أضافته إليها من موانع صناعية كثيرة. إضافة إلى أن أمريكا - بحكم العلاقات الاستراتيجية التى تربطها بإسرائيل - فتحت لها ترساناتها العسكرية وزودتها بأدق تطورات صناعة السلاح، ولم تحجب عنها أى سر عسكرى مهما كانت خطورته وقوته، وعلى الجانب الآخر - فرغم أن الاتحاد السوفيتى لم يتعامل مع عبد الناصر بنفس تعامل أمريكا مع إسرائيل من الناحية العسكرية إلا أنه استطاع عن طريق إثارة حفيظته بالمخاطر الجسيمة المترتبة على سقوط مصر فى أيدي الهيمنة الأمريكية - استطاع أن يحصل منه على أكبر قدر من السلاح والتكنولوجيا المستحدثة تعطى للقوات المسلحة المصرية القدرة على مجاراة إسرائيل فى سباق التسلح القائم بينهما. تحسباً للمعركة القادمة. ولو أنه لم يصل إلى حجم السلاح الذى حصلت عليه إسرائيل من ترسانة أمريكا العسكرية. على أية حال استطاع عبد الناصر أن يوقف غرور إسرائيل وتباهيها بقواتها المسلحة وقدرتها العسكرية الفائقة، وأن هزيمة يونيو ليست آخر المطاف فى الصراع العربى - الإسرائيلى كما تخيلت. وأن حلمها بالاستيلاء على الأراضى العربية بالقوة قد تبدد نهائياً وألا حل لهذا الصراع سوى البحث عن تسوية عادلة وشاملة تعطى كل الأطراف المتنازعة كافة حقوقها المشروعة دون جور طرف على حقوق الطرف الآخر، ولذلك مرت الشهور بعد شهر يناير فى عام ١٩٧٠ دون إزعاج - اللهم إلا بعض الاحتكاكات المحدودة على الجبهة - وبعض التصريحات المثيرة من الجانبين التى لا تتعدى مرحلة الكلام، والتى لم تدخل فى حيز التنفيذ، وصاحب ذلك أمر أزعج إسرائيل وأقلقها، وهو التغيير الجديد فى السياسة العربية برمتها. عسكرية كانت أم اقتصادية، وأن مصر هى صاحبة ورائدة هذا التحول كله كما كانت من قبل الهزيمة المبادرة دائماً فى يدها دون تبعيه تتحكم فى مصيرها ومصير أمتها العربية بوحى من نفسها، وتواجه أخطر المواقف باقتدار وحزم ومن ورائها أمة عربية كأنها خلقت من جديد تحسن استخدام ثرواتها البشرية ومفاتيح ضغطها المتعددة لتحريك القضية عالمياً. نفذت بها إلى مواقع كان لا يمكن أن تنفذ إليها، وتحاور أمريكا والغرب وعقل إسرائيل بلفه غير اللغة التى كانت تستخدمها من قبل وتثير حفيظتها، ولكن بحلول شهر سبتمبر - أيلول - من عام ١٩٧٠ نفسه حملت الأحداث موقفاً مأساوياً لطح هذه الصورة الجميلة وكان على عبد الناصر مسئولية المحافظة عليها حتى ينهى كل آثار هزيمة يونيو. هذا الموقف المأساوى المفاجئ هو مذبحة أيلول -



## لماذا فكر عبد الناصر فى فتح الحوار مع

### امريكا لحل مشكلة الشرق الاوسط؟

عاش عبد الناصر أحداث عام ١٩٧٠ بحلوها ومرها، صادف فيها أياماً مجيدة وأخرى حزينة، عاش انتصارات اشترأت بها الآمال إلى عنان السماء جددت إليه الأمل والرجاء فى أن يعود إلى سابق مجده كما كان قبل نكسة يونيو ممسكاً بزمام الأمور لا يطاوله أحد، يتخذ مايحلو له من قرارات وإجراءات دون أية معارضة، وإنما يحظى بالتأييد والتصفيق الذى كان يحظى به دائماً كزعيم هز أركان الاستعمار وزلزل الأرض التى يقيم عليها، وعاش عبد الناصر فى عام ١٩٧٠ انتكاسات بلغ فيها القنوط واليأس إلى أقصى الحدود تبحرت معها كل آماله العريضة فى الخروج من أزمة النكسة وأحاط به الفشل وأزعجة وأرهبه على كافة المستويات. داخلية كانت أو خارجية.

لقد كان عام ١٩٧٠ بالنسبة لمصر والعرب وعبد الناصر مشحوناً ساخناً. فيه دارت حرب الاستنزاف والردع للعدو الإسرائيلى كما لم تدر من قبل طوال حقبة السنوات الثلاث بعد النكسة، وفيه وصلت علاقات عبد الناصر بالاتحاد السوفيتى إلى درجة من السوء لم تصل إليها هذه العلاقات من قبل بسبب بماطلة الروس ومراوغاتهم فى مد عبد الناصر بما يحتاجه من الأسلحة الهجومية، وحتى الأسلحة الدفاعية لم يرسلوها إليه دفعة واحدة وسما القاهرة مفتوحة للغدر الصهيونى تضرب طائراته وصواريخه المناطق العسكرية والمدنية على السواء فى كل أنحاء مصر دون أن تجدد أية مقاومة، وفيه اضطر عبد الناصر أمام هذا الخطر الداهم أن يفتح حواراً مع الولايات المتحدة لحل أزمة الشرق الأوسط سلمياً متخلياً عن المبدأ الذى كان ينادى به فى أعقاب النكسة الذى يقول: «ما أخذ بالقوة لا بد أن يسترد بالقوة» بدءاً بخطابه الشهير الذى وجهه إلى الرئيس الأمريكى فى هذا الوقت نيكسون، وكان ذلك فى أول مايو من العام نفسه، وفيما بعد قبل مبادرة روجرد السلمية وهو يتباحث مع الزعماء السوفيت فى الكرملين. كاظمياً غيظه منهم وكنت معه ممثلاً للإذاعة وحرمتنا صحف وإذاعة وتليفزيون ووكالات أنباء السلطات

السوفييتية من حضور هذه اللحظات التاريخية، وحرمت المصورين أيضاً من التقاط صور هذا اللقاء واكتفت بتوزيع صورة واحدة له ثابتة غير نابضة بتعبيرات هذا اللقاء على وجوه المتفاوضين والمتباحثين مع نبأ مختصر جداً لم تذكر فيه المواضيع التى بحثت ولا الخلافات التى وقعت، ولكننا استطعنا كمندوبين للصحف والإذاعة والوكالات الحصول على تفاصيل مآدار فيما بعد. وعدنا إلى القاهرة. وأذكر أن عبد الناصر كان متجهماً جداً بادياً على وجهه القلق والخوف من المستقبل لمستقبله هو كزعيم مرموق، وإنما مستقبل مصر والمنطقة برمتها وما ينتظرها من مفاجآت. ولكن عبد الناصر كعادته فى مواجهة تلك المواقف الصعبة والدقيقة سرعان ما نفّض عن نفسه الخوف والقلق واستعاد حيويته ومقدرته وبدأ يعد لتجاوز الأزمة ورأى فى لحظة حتمية مصارحة الشعب بكل مآدار على مائدة المباحثات وخلف الكواليس. وكانت الفرصة أمامه متاحة تماماً. فقد كان مؤتمر الاتحاد الاشتراكى السنوى منعقداً فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجايعة القاهرة، وذهب على الفور إلى هناك ليلتقى بالمجتمعين من الأعضاء وألقى كلمة انفعالية بما حدث، وأخذ يلف ويدور فيها عن كيفية إحاطة المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى بما حدث، وأذكر - وكنت موجوداً فى القاعة - أن عبد الناصر عندما أعلن موافقته على مبادرة روجرز لم يظفر بالتصفيق والتأييد الذى تعود عليه وإنما انطلق تصفيق منقطع فى جنبات القاعة على استحياء تام. فقد كانت النفوس معبأة تماماً ضد الولايات المتحدة الأمريكية لمساندتها وأنحيازها التام إلى جانب إسرائيل ومباركتها لعدوان إسرائيل على الأراضى العربية.. تمدها بالسلاح والمال لقتل أرواح عربية بريئة - كل الذنب الذى اقترفه هو دفاعها عن أرضها والدود عن حياض وطنها.

على أن السؤال الذى تردد بقوة وإلحاح فى ذلك الحين كان هل عبد الناصر كان يتوقع هذا الموقف غير المؤيد لموافقته على مبادرة روجرز، بالطبع كانت الإجابة عليه بالإيجاب. فقد كانت كل أجهزة الدولة مسخرة لخدمة الروس والتعاون معهم. لأنهم كانوا يقفون فى دائرة معارضة كل أفعال إسرائيل القمعية فى الأراضى العربية المحتلة ويطالبون بجلائها عن هذا الأراضى والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى المشروعة فى إقامة دولتهم المستقلة على أراضيهام المحتلة. كما كانوا يطالبون بجلء إسرائيل عن الجولان السورية كذلك. بل إن

القيادة السوفيتية أعلنت أنها لن تعيد علاقاتها بإسرائيل التي قطعتها بسبب عدوانها على العرب إلا إذا جلت عن الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان السورية، ولم يدرك أعضاء المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكي أن موقف الروس إبان السنكسة لم يكن على مستوى هذا الحدث الكبير بسبب مفاجأة عبد الناصر لهم دون أن يمهد لهم أو يذكر لهم أسباب موافقته على مبادرة روجرز. كما أن المفاجأة أربكتهم وجعلتهم لا يستطيعون تبين المسلك الذي ينبغي أن يسلكوه في ظل تغيير الموقف على هذه الصورة، ولو أنهم فيما بعد أيدوا عبد الناصر وآزروه في مسعاه لحل النزاع العربي - الإسرائيلي بالطرق السلمية وتخلوا عن تأييدهم للروس وخففوا من غضبتهم على الولايات المتحدة الأمريكية.

ولما نجح عبد الناصر في نزع فتيل الخلاف بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية الذي تخلف عن مذبحه أيلول «سبتمبر» لمنع تواجد المقاومة الفلسطينية على الأراضي الأردنية أيدته الجبهة الداخلية والدول العربية وناصروه في مسعاه السلمي وأيدوه في اعتقاده بأنه ليس هناك محذور في العمل السياسي إلا الاستسلام، وأن أي عمل عسكري لا بد أن يكون له غطاء بعمل سياسي يقنع العالم بأن مصر فعلت كل شيء من أجل حل عن طريق الأمم المتحدة والاتصالات الدولية. ولكي يكون هذا الحل مرضياً ومستجيباً للحق والعدل ينبغي أن يشعر العالم بأن النكسة وإن هزت الوحد العربية وأصاب الجبهة الداخلية بتصدع إلى حين فإن الوحدة العربية والجبهة الداخلية قد عادت إلى تماسكها، وغدت جسراً صلباً تتكسر على ضفافه كل محاولات إسرائيل الاستمرار في احتلال الأراضي العربية وإنكار حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة.

ولا بد أن نسجل لعبد الناصر هنا أنه في كل مباحثاته مع العرب ومع الروس والأمريكان في أعقاب نكسة يونيو كان لا ينكر أهمية السعي للحل السلمي للخروج من الأزمة رغم تشاؤمه من الفرص المتاحة له بعد أن نجحت إسرائيل وحلفاؤها من الغرب في إحراز هذا النصر الكبير في الحرب، وأنهم لن يقبلوا أي حل سلمي إلا إذا كان هذا الحل استسلاماً كاملاً لمطالبها. كما إن هذا النصر أحسن فرصة متاحة للغرب لإخراج الروس

من منطقة الشرق الأوسط . وإنه - أى عبد الناصر إذا كان قد أعاد تسليح جيشه وأعاد للجبهة الداخلية صمودها فإنما فعل كل هذا ليكون عامل ضغط للوصول إلى أفضل الحلول السلمية للنزاع العربى - الاسراذيلى وللقضية الفلسطينية جوهر النزاع ولبه، وليثبت به للعالم ان قضية الشرق الأوسط لايمكن أن تكون ميداناً للمناورات، والمراوغات والتأجيل، وأنه ينبغي ألا ينظر إلى استعداداته على أنها استعداد لشن الحرب من جديد إذ إن الإصرار على العمل العسكرى - فى وجود حل سلمى مشرف - يصبح نوعاً من الحماقة يصعب تبريره أمام شعبه وأمام العالم. فهو كرجل عسكرى يعرف أكثر من غيره أهوال الحروب ومآسيها ويعرف أن اللجوء إليها لا يحدث إلا إذا سدت جميع الطرق للوصول إلى تسوية مرضية للنزاع لدى كافة الأطراف، أى أن النكسة ومآتلاها من أحداث صقلت فكره وغيرت من خططه. بحيث أصبحت متوازنة لاتطرف فيها ولاتحذ، وإنما الرغبة فى التوصل إلى حلول بأقل الخسائر فى الأرواح وغيرها.

## الوثائق تؤكد: عبد الناصر أول من فاض للسلام ومخطئ من يظن أن عبد الناصر كان داعية حرب

لم يكن عبد الناصر داعية حرب كما يحاول البعض تصويره على هذا النحو دون الغوص فى التحليل المتكامل للأحداث التى تتابعت على عبد الناصر وثورته وأهدافها ومراميها الحقيقية العاجلة والاجلة وأسبابها ودوافعها ليعرفوا لماذا حارب إسرائيل عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ وهل هو الذى بدأ بهذه الحرب أم كانت مفروضة عليه بهدف إذلاله وتقليم أضافره وفى النهاية الخلاص منه؟

ولو كلفوا أنفسهم عناء البحث وجهد التنقيب عن الحقيقة لتبين لهم أن هذه الحرب دبر لها جهات خارجية هالها وأزعجها ما أحدثته ثورته من تحرير للشعوب من سيطرة الاستعمار والتحكم فى ثرواتها الطبيعية والاستفادة من جميع العائد منها، ودلينا على مانقوله أن إسرائيل لم تحارب عبد الناصر وحدها. ففى عام ١٩٥٦ اشترك معها إنجلترا وفرنسا وهما كانا دولتين مستعمرتين لمعظم الشعوب والدول التى حررها عبد الناصر فى أفريقيا وآسيا ومنطقة الشرق الأوسط، وفى عام ١٩٦٧ شاركت من وراء ستار مع إسرائيل فى حربها لعبد الناصر إنجلترا وفرنسا، وانضم إلى المؤامرة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى اللذان كانا أمام العالم أعداء. وهم فى الحقيقة بحكم العلاقة العدائية الظاهرة بينهما خط أحمر لا يمكن تجاوزه. هذا الخط معروف لهم دون سائر دول العالم، وتأسيسا على ذلك يخطئ من يظن أن هزيمة يونيو التى أرغمت عبد الناصر على فتح الحوار مع أمريكا لحل مشكلة الشرق الأوسط، وأنها كانت السبب فى توجيه عبد الناصر لخطابه الشهير الذى وجهه إلى الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون وقبوله لمبادرة روجرز وزير الخارجية الأمريكية وقتذاك، وساتخدامه للعرب الأمريكان والعرب السوفيت للممارسة الضغط على كل من أمريكا وروسيا بوصفهما القوتان العظميان اللذان كانا يملكان سلطة التحكم فى مصير العالم. وإنما الذى دفع عبد الناصر لسلوك هذا المسلك هو طبيعة العلاقات التحتية القائمة بينهما. وأن هدفه الرغبة فى تحقيق هدفه فى إقامة سلام يحفظ

للعرب والفلسطينيين كافة حقوقهم بأقل الخسائر فى الأرواح والمعدات . حيث إن طبيعته ضد الحرب كوسيلة للحصول على هذا الهدف وإنما يلجأ إليها عندما تسد أمامه سائر الطرق لتحقيق الهدف الذى قاد ثورته ، وضحى بحياته وحياة ضباط الثورة من أجله .

ولو تتبعنا حياة عبد الناصر منذ أن كان طالباً فى الكلية الحربية وبعد تخرجه وانخراطه فى سلك القوات المسلحة والمهام التى أوكلت إليه فى حرب فلسطين التى استهل بها حياته ، والأسلحة الفاسدة وقصتها التأميرية على الجيش والشعب معاً ، والتى كانت السبب المباشر للتعجيل بقيام ثورته الذى بذر بذورها وخطط لها فى ميدان المعركة على ضوء ما شاهده من خيانات عربية وغير عربية من ملوك ورؤساء كانوا أدوات طيعة فى أيدي أعداء أمته العربية والإسلامية والتى صاغت فكره السياسى فيما بعد ببساطة شديدة وتلقائية لا مثيل لها لقطع الطريق على حدوث مثل هذه الخيانات فى المستقبل عندما أعلن فى كتابه «البحث عن الذات» أن محور تفكيره هو العمل فى نطاق دوائر ثلاثة . الدائرة العربية والدائرة الإسلامية ، ودائرة دول عدم الانحياز .

وإننى أعترف منذ أن ساقنى القدر لأن أكون قريباً من عبد الناصر كمتدرب للإذاعة فى مجلس الثورة الذى كنت مشغولاً بدراسة شخصيته الفريدة المذهلة المليئة بالثورة على الأوضاع الفاسدة ماضيها وحاضرها لتقييمها وتشريحها لمعرفة حقيقة واحدة . هل هذه الشخصية دموية أم أنها شخصية مصرية تكره العنف وتمنح للسلام ؟ وآليت على نفسى أن أجمع كل الحقائق من فائض ما نشر عنه فى أمهات الكتب والصحف العربية والأجنبية بعد أن ساقنى القدر فيما بعد بحكم مهنتى - أن أكون ملماً بكل التفاصيل الدقيقة التى تضمنتها تلك الكتب والصحف ، وأيضاً وكالات الأنباء الأجنبية . العالمية والعربية والمحلية والإقليمية وقد سبقنى إلى ذلك كتاب أصدره زميل لم أشرف بمعرفته ولا الالتقاء به هو الكاتب الصحفى رشاد كامل بعنوان «عبد الناصر فى تل أبيب» الذى احتوى وثائق هامة لكل من يريد البحث عن فكر عبد الناصر السياسى من خلال جهوده وإنجازاته حول فكرة السلام بين العرب وإسرائيل . وهل كان مويداً للسلام أم داعية حرب وعنف ؟ استنبط فيه

المؤلف أو جمع كل ما جاء عن القضية فيما يخص عبد الناصر فى كل ما نشر من تحليل وتعليق وحقائق . سواء فيما نشر من تصريحات أو مذكرات أو كتب .

فماذا جاء فى هذا الكتاب القيم الصادق . باختصار شديد من إحصاء لمشروعات التفاوض مع إسرائيل الذى تميز بالدقة والوضوح اللازمين لكل باحث عن الحقيقة المجردة عن الهوى والغرض؟ لقد جاء فيه أن هذه المشروعات بدأت كما يقول محمود رياض وزير الخارجية، والذى تولى فترة طويلة منصب الأمين العام للجامعة العربية منذ عام ١٩٦٩ ولم تكن اختراعا من نبات أفكار الرئيس الراحل أنور السادات، وجاء فى مذكرات الرئيس الراحل محمد نجيب الذى يصر من كتبوا التاريخ على تجاهله . حيث أشار فى بداية الثورة إلى دور عبد الناصر فى هذا الأمر قائلا: «إن بعض الإسرائيليين تفاءلوا عندما عرفوا أن عبد الناصر الذى كان على اتصال ببعض ضباط المخابرات الإسرائيلية فى حرب فلسطين هو أحد رجال الثورة، وقد أكد أقوال نجيب ومحمود رياض ما نقلته مجلة «التحرير» نقلا عن الصحافة العالمية عام ١٩٥٣ حول قصة المحادثات السرية فى النقب بين عبد الناصر أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ والقائد الإسرائيلى إسجال اللون والى يرويه ضابط المخابرات الإسرائيلى كوهينى الذى التقى خمس عشرة مرة بعبد الناصر أثناء الحرب للتمهيد لمفاوضات السلام . كما أكد أقوال نجيب ومحمود رياض بما جاء فى مذكرات الأميرالاي السيد طه الذى كان يطلق عليه الضبع الأسود . إظهارا لشجاعته وفدائيته - التى تؤكد أن بداية هذه المفاوضات كانت فى عام ١٩٤٨ حيث مثل ومعه جمال عبد الناصر الجانب المصرى .

ويقول الكاتب الصحفى رشاد كامل فى كتابه إن محمد حسنين هيكل الذى كان أقرب المقربين لعبد الناصر أكد فى شهادته فى كتابه «ريادة جديدة للتاريخ» أن عالم الذرة البرث أينشتين قام بالوساطة بين مصر وإسرائيل فى مفاوضات السلام . كما أن هيكل ذكر فى كتب أخرى له أن أندرسون المبعوث الأمريكى والرئيس اليوغوسلافى تيتو الذى كانت تربطه بعبد الناصر صداقة حميمة، والسياسى الرومانى بترو بورناكو قد قاموا بالوساطة بين

عبد الناصر والإسرائيليين من أجل السلام، وأيضاً ما جاء فى مذكرات ثروت عكاشة -  
التي سجلت وجهة نظر ناحوم جولدمان فيما يتصل بالسلام، والتي كان يعرفها عبد  
الناصر جيداً من صديقه وزميله ثروت عكاشة. إضافة إلى شهادة وليم بولك المبعوث  
الأمريكي إلى مصر أثناء حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ وإعدادة مسودة اتفاق سلام بين  
مصر وإسرائيل وأن عبد الناصر تسلمها ووافق عليها بعد تعديلها.

كل هذه الشهادات والوثائق تؤكد جهود عبد الناصر من أجل السلام منذ عام ١٩٤٨  
حتى وفاته، وتؤكد أيضاً حقيقة هامة هى أن الغرب وإسرائيل لم يفهموا عبد الناصر، ولو  
فهموه ما كانت تلك الحروب التي اشتعلت، وما كانت الأحداث اتخذت الشكل الذى  
اتخذته حتى يومنا هذا.

## حضرت وفاة عبد الناصر... وأحداث الليلة الحزينة

### النبا الذى كان يريد سماعه قبل وفاته

لم يكن أحد يتخيل أن نهاية عبد الناصر العملاق ستوافق مع نهاية اتفاق القاهرة الذى أنهى واحدة من أكبر المآسى العربية، وهى مذبحه أيلول (سبتمبر) الأسود كما كان يطلق عليها. تلك المأساة التى لو لم يقدر لها تلك النهاية التى وضعها وصنفها وبوبها عبد الناصر فى اتفاق القاهرة لتبدل تاريخ الأمة العربية، وأصبحت مشردة محتلة من إسرائيل واليهود، وضاعت فلسطين وضاع معها العرب كامة وكحضارة وتاريخ. . ففى اليوم التالى لتوقيع اتفاق القاهرة وعبد الناصر يودع الزعماء العرب فى ميناء القاهرة الجوى فى نهاية شهر سبتمبر عام ١٩٧٠ الذى كان آخرهم أمير دولة الكويت. شعر عبد الناصر بتعب مفاجئ استلزم عودته فى عربة الأسعاف المجهزة بكافة المستلزمات الطبية المعدة لمثل هذه الطوارئ، والتى كانت تلامز موكب عبد الناصر منذ أن أصيب بمرض القلب وداهمه السكر وتملك جسمه وأعاق نشاطه وتحركاته.

طيرت وكالات الأنباء الخبر مع تفاصيل مذهلة لمرض عبد الناصر ورحلات العلاج التى قام بها فى الاتحاد السوفيتى، ورأى الأطباء فى مستقبل حياة عبد الناصر. وبسبب التعطيم الإعلامى الذى كمان مفروضاً على إنباء صحته لم تشر صحفنا للنبا إلا تلميحاً ولذلك كان نبا وفاة عبد الناصر مفاجأة مذهلة للشعب الذى كان يرى عبد الناصر قوى البنية صحيح البدن، ولا يعرف خفايا صحته المعتلة. ومن هنا كثرت الأشاعات وتعددت حول وفاته فمن قائل أنه مات مسموماً بمؤامرة محبوكة حتى لا يكتشف الأمر، وأشارت أصابع الاتهام إلى مراكز القوى التى تخلص منها السادات فيما بعد. الذين - حسب ما تردد. . كانوا يطعمون فى الاستيلاء على الحكم بتشجيع من الاتحاد السوفيتى. ومن قائل أن عبد الناصر قتل والقاتل مجهول. ومن قائل أن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل والاتحاد السوفيتى قد تعاونوا معاً فى سيناريو التخلص من عبد الناصر الذى اتفقت مصالحهم جميعاً عليه. وكان لكل فريق حججه التى يؤكد بها صحة رأيه، ولكن لم يملك فريق

منهم وثيقة واحدة ترجح هذا الرأي وتؤكدده دون غيره . المهم أن أحدا من الشعب لم يصدق أن عبد الناصر فارق الحياة كغيره من البشر العاديين ، ولم تكن هناك مؤامرة عليه من هذا أو ذلك ، وكان هذا هو الأمر الغريب - وللشعب عذره في ذلك - فقد مرض عبد الناصر وهو لا يعلم شأنه شأن العدد من المواقف والمعلومات التي لم يزود بحقيقتها ، فكانت غالباً ما تصل إليه مشوهة أو مبتورة أو في ثوب إشاعات يجوز عليها التكذيب أو التصديق . وعليه فإن وفاة عبد الناصر ستظل لغزا إلى أن ينكشف سره بالوثائق التي لا تكذب والأدلة القاطعة غير المشكوك في صحتها أو صدقها شأنها شأن ما حدث من قبل في وفاة المشير عبد الحكيم عامر التي لم يعرف سرها حتى الآن . . . . هل هي انتحار أو قتل أو غير ذلك ؟ ، وشأنها شأن ما حدث من بعد في اغتيال السادات ، وعمما إذا كان اغتياله قد تم بمؤامرة شارك فيها مصريون بدافع من جهات أجنبية وتحريض منها . فلم يحدث أن قتل رئيس مصرى وسط قواته المسلحة كما قتل السادات .

المهم أن عربة الأسعاف نقلت عبد الناصر إلى منزله ، وكنا معه ندعو الله أن يشملہ برعايته ويشفيه من مرضه ، وعدنا نحن مندوبى الصحف والإذاعة ووكالات الأنباء إلى منازلنا ولم نهذا من متابعة تفاصيل مرضه ، ولكننا أيضاً لم نحصل على الحقيقة ، إلى أن دق جرس التليفون فى منزلى فى مساء يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ وكان المتحدث من قصر القبة يستدعيني على عجل ، وطوال الطريق من الجيزة . حيث موطن إقامتى وحتى القصر الجمهورى بالقبة كانت المخاطر تتزاحم على ذهنى . حيث كان الراديو والتليفزيون قد بدأ كل منهما يذيع آيات من القرآن الكريم دون إعلان أى نبأ أو النبأ الذى استدعى إذاعة القرآن الكريم فى كافة قنوات التليفزيون ، وعلى سائر موجات الإذاعة باستمرار مع الغاء كافة البرامج المعلن عن إذاعتها ، لم يعرف أحد من الشعب سبب إذاعة هذا القرآن . البعض منهم توقع أو أشاع أن شيخ الجامع الأزهر هو الذى توفى والبعض الآخر توقع وفاة أحد الزعماء العرب . ولكن أحداً منهم لم يظن إلى أن المتوفى هو عبد الناصر ، وأن إذاعة النبأ تأخر إلى حين الإعداد الجيد لشئون عديدة فى الدولة حتى لا تقع أحداث تؤثر على أمن واستقرار البلد ، وطوال الطريق كنت اتفرس وجوه الناس فى إشارات المرور

عندما تتوقف العربة المقلدة لى بها، وكنت ألمح فيها التجهم الشديد والحزن والأسى - رغم عدم معرفتهم عن أسباب إذاعة القرآن الكريم فى الإذاعة والتليفزيون. حتى أنا نفسى لم أتوقع وفاة عبد الناصر. فكثيرا ما ألم به تعب مماثل وشفى وعاد إلى مزاولة عمله بنشاط عجيب، وكنت أتوقع أن يكون التعب الذى ألم به والذى شاهدته قد زال وغدا سيستأنف نشاطه.

ولدى وصولى إلى قصر القبة تأكدت أن الكارثة قد وقعت، وأن عبد الناصر قد فارق الحياة، فقد شاهدت الأعلام فوق القصر منكسة والحزن والأسى بادياً على كل من التقيت بهم فى القصر، وأنا أجاوز البوابة المسموح لنا بالدخول منها إلى القصر. وعلى بعد خطوات منها ارتقى على محمود الجيار وهو يسجش بالبكاء وقال لى إن عبد الناصر قد مات وجسمانه مسجى فى ثلاجة القصر، كان الرجل فى حالة يرثى لها. فقد فارقه رفيق حياته وولى نعمته، فلم أتمالك نفسى، وتبادلنا سويا البكاء فقد كان عبد الناصر بالنسبة لى - بصرف النظر عن كونه رئيسا للجمهورية - قد غمرنى بعطف فاق عطف أبى وأمى، ووقف بجانبى فى مواقف مأساوية تعرضت لظلم بين فيها، وأنا مهيض الجناح لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعاً، وكان عبد الناصر هو الذى يعطينى حقى ويدفع الظلم عنى أمام الذئاب التى كانت تريد افتراسى، ولديهم كل القدرة على تنفيذ مآربهم الخسيسة، ولكن عبد الناصر حمانى من غدرهم الذى لم يكن له داع أو سبب، لكل هذه الأسباب وأسباب أخرى أخرج أن أذكرها هدى نبأ وفاة عبد الناصر كما هد الملايين من شعبنا الأصيل الوفى.

وفى الطريق الطويل من بوابة القصر إلى غرفة الصحافة الذى كان مفروضاً علينا أن نقطعه مشياً على الأقدام بسبب دواعى الأمن تمالكت نفسى ونفضت الحزن الذى تملكنى من مفرق رأسى إلى أخمص قدمى، وتفرغت لعنملى لاوافى الإذاعة بتفاصيل تلك الليلة الحزينة، وعرفت أن اجتماعاً مشتركاً معقوداً فى قاعة الاجتماعات فى الدور الأول من القصر. يشهده الوزراء وأعضاء مجلس الرئاسة الذين كانوا أعضاء مجلس ثورة يوليو من

قبل. أو كل من بقى منهم على قيد الحياة، أو من بقى منهم فى ذمة الحكم، وعرفت أن عبد الناصر كان قد فاق من غيبوبته واستمع إلى نشرة الساعة الخامسة فى الإذاعة، وكان تعليقه أن النشرة لم تتضمن النبأ الذى كنت أود الاستماع إليه وحاولنا جاهدين نحن مندوبى الصحف والإذاعة والوكالات معرفة النبأ على وجه اليقين، ولكننا لم نتوصل إليه فقد فارق عبد الناصر الحياة دون أن يفصح عن هذا النبأ وسيظل هو الأمر سرّاً إلى أن تكشفه الوثائق والمستندات أو يكشفه الذين لارموا عبد الناصر فترة مرضه. وقال البعض منا أن عبد الناصر كان يريد أن يسمع أن السلطة انتقلت إلى زكريا محيى الدين، وحجة الذين قالوا ذلك أن عبد الناصر توفى وهناك عدد من النواب له أقدمهم زكريا محيى الدين الذى كان قد قدم استقالته. ولكن رجال القانون أفتوا بأن من حقه أن يتولى المسئولية بعد عبد الناصر. فاستقالته لم تقبل، ولكنه لم يكن متواجداً فى الاجتماع المشترك المعقود حالياً. فمنذ أن قدم استقالته نفض يديه من كل المسئوليات ولزم بيته، وربما كان هو الوحيد الذى لم يسجل مذكراته فيما بعد. أما البعض الآخر فكان يؤكد أن النبأ الذى كان يتوقع عبد الناصر الاستماع إليه هو خلاص المقاومة الفلسطينية من الملك حسين انتقاماً من المذابح التى نصبت لأفرادها، وكانت أنباء قد أذيعت عن تفاصيل هذا الأمر لم تتأكد صحتها، على أية حال فقد مات عبد الناصر ومات هذا السر معه، وكانت معه أسرار عديد لو كشف النقاب عنها لرسمت تاريخ الثورة الحقيقى وأضاءت العديد من الحقائق التى اكتنفها الغموض.

## فشل عبد الناصر فى إقامة الحياة الديمقراطية السليمة

### ونجح فى القضاء على الاستعمار والإقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم

تقييم فترة حكم عبد الناصر سيظل معلقاً إلى أن يزول الغموض الذى مازال يكتنف بعض أحداث تلك الفترة، وتتضح حقائق تضع النقاط على الحروف حول العديد من علامات الاستفهام القائمة، وتحجب على أسئلة واستفسارات دارت حول تلك الأحداث المأساوية والديناميكية والدرامية والأيدلوجية ويكتمل اكتشاف الوثائق والأسانيد والأدلة. سواء المصرية منها والأجنبية أيضاً من دول لعبت أدواراً هامة وصلت فى أحيان كثيرة إلى حد التأثير على مصر وشعبها ومستقبل الدول النامية قاطبة.

عندئذ يمكن تقييم فترة حكم عبد الناصر الدسمة بتأثيرها وتفاعلها وتداعياتها ونتائجها فى تلك الحقبة الهامة من تاريخ مصر، ومن ثم يمكن الوصول إلى التقييم الصحيح لثورة يوليو ككل على المستوى الإقليمى والمستوى العالمى، وعليه فلا الذين رفعوها إلى عنان السماء، ولا الذين جردوها من ملابسها الداخلية توصلوا إلى هذا التقييم. فكلها استنتاجات واستنباطات وشهادات ورؤية من شخصيات يجوز عليها الخطأ والصواب، وربما الفترة التى يمكن أن يجوز عليها التقييم الصحيح هى فترة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ بعد أن أذيعت الوثائق البريطانية والفرنسية والأمريكية، وبعد أن تبين بعض الوثائق المصرية أما بعد تلك الفترة فما زال تقييمها مبتوراً والرأى فيها مازال مبتسراً. فهزيمة يونيو البشعة لم يستطع أحد من المحللين والمختصين وكتبة المذكرات والخواطر أن يشفى غليل الباحثين. رغم مرور مايزيد عن ربع قرن على هذا الحدث. فلا أحد منهم استطاع أن يقطع عما إذا كان ماحدث كان خيانه أم مؤامرة. ولم يستطع واحد منهم أن يحدد مسئولية القيادة السياسية ومسئولية القيادة العسكرية عن تلك الهزيمة. حتى الوثائق والمستندات التى كشف عنها محمد حسنين هيكل الذى كان معاصراً لهذه الفترة ومشاركاً فى أحداثها لم تكتمل بعد منذ انصب اهتمامه على جمع ومناقشة الوثائق الأمريكية وحدها دون حصوله على الوثائق الإسرائيلية والبريطانية والفرنسية وغيرها من وثائق دول

كانت مشاركة فى التخطيط لهذه الهزيمة، وإن اختلفت أدوارها وتباينت من ناحية أهميتها، والقدر الذى شاركت به كما أن التحليلات والتعليقات على أحداثها التى أوردها محمد حسنين هيكل إن كانت اتسمت بقدر كبير من الحيطة والتزاهة والحيطة والبعد عن التحيز. فإنها لم تخل من التعاطف معها فى أحيان كثيرة بحكم تشييعه لعبد الناصر وثورته.

على أنه رغم التقييم الأعمى الذى كان سمة لاختلاف عليها خلال تلك الفترة، ورغم غياب الحرية والديمقراطية التى كانت السبب الرئيسى والجوهرى فى هذا الغموض الذى حجب الحقيقة عن أعيننا. فإن هناك قضايا كان الإجماع عليها قائماً عند تحديد ماتم وما لم يتم من أهداف الثورة السنة التى أعلنها عبد الناصر مع بداية نجاحها، فالإجماع قائم على أن عبد الناصر نجح فى تحقيق أهداف ثلاثة من تلك الأهداف الستة إلى حد كبير. فقد نجح فى القضاء على الإقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال على دفة الحكم، ولكنه فشل فى إقامة الحياة الديمقراطية السليمة والعدالة الاجتماعية والجيش الوطنى القوى، وفشل عبد الناصر فى تحقيق تلك الأهداف يرجع إلى أنه كان مشغولاً بتأمين ثورته ضد أعدائها فى الداخل والخارج. الذين حاولوا الانقضاض عليها مرات عديدة، ولذلك لم يستطع عبد الناصر أن يحل تلك المعادلة الصعبة. فلم يستطع التوفيق بين إطلاق حرية التعبير فيما يذاع وينشر ويطلع، وبين تأمين الثورة ضد من يريدون ابتلاعها رغم محاولاته العديدة. ولكى نكون منصفين وعادلين وجادين ونحن نقيم دور الثورة فى مجال الحرية والديمقراطية والنهوض بأدوات الإعلام والثقافة والأدب والفن فى ثورة يوليو ينبغى ألا نغفل حقها. وينبغى أن نفرق بين جوهر ومضمون ما كانت هذه الأدوات تنقله إلى الشعب وبين المنشآت الضخمة التى شيدتها الثورة فى هذا المجال التى أسهمت أسهاماً إيجابياً وفعالاً فى تطويرها لتواكب التطور فى وسائل الاتصال والتكنولوجيا. فالإذاعة كانت عملاقه بموجاتها المتعددة وقوة محطات إرسالها، واللغات واللهجات التى كانت تليق بها. بحيث وصل إرسالها إلى العديد من أنحاء العالم ينقل الحضارة والتطور والثقافة المصرية، وهى التى أنشأت التليفزيون فى عام ١٩٦٠ على الرغم من المعارضه

التي كانت قائمة وقتذاك ومطالبتها بتوفير نفقاته لمواجهة الحالة المعيشية . التي كانت قد بدأت تسوء ، ويصعب مواجهتها على الغالبية العظمى من الشعب . وهي - أى الثورة أو عبد الناصر التي كانت سباقه فى رصد الجوائز التشجيعية والتقديرية التي كان لها الفضل الكبير فى تنشيط حركة الأدب والثقافة والفكر فى الستينيات على الأقل ، وهى التى أنشأت أكاديمية الفنون ومعاهدها المختلفة وهيئات الثقافة الجماهيرية والكتاب والفرق السيمفونية وفرق الموسيقى التى وسعت دائرة المشتركين فى النشاط الإعلامى والدولى والثقافى ، وفى مجال الفن ، وهى التى أنشأت وزارة الثقافة التى نشطت المسرح ، وأصبح فى مصر ١٤ فرقة مسرحية بعد أن كانت لها فرقة واحدة هى فرقة المسرح القومى .

وللحق والحقيقة فإن الثورة فى مرحلتها الأولى من عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٥٦ وما تلاها من أعوام حقبة عبد الناصر حاولت جاهدة حل المعادلة الصعبة التى تحدثنا عنها ، ولكن يؤخذ عليها أنها فى محاولتها هذه لم تستطع أن تتحمل الآثار المرتبة على إفساح المجال الكامل للحرية والديمقراطية . وعلى سبيل المثال لالحصر فإن أول محاولة كانت مبكرة جداً . فبعد مرور عام أو يزيد قليلاً على قيامها - أى فى النصف الثانى من عام ١٩٥٣ عندما دعا عبد الناصر - وهو رئيس للوزراء ومحمد نجيب رئيساً للجمهورى المفكرين والمثقفين والكتاب ورؤساء تحرير الصحف آنذاك قبل التأميم للالتقاء به فى مجلس الثورة وكانت الرقابة قد رفعت وعم البلاد جو من الديمقراطية والحرية استتمتت فيه الصحافة وأدوات الإعلام بحرية التعبير والتمنى والنقد . وأجمعت وقتذاك على ضرورة عودة الجيش إلى ثكناته وعودة الحكم إلى المدنيين ، وهو ما كان يطالب به محمد نجيب ، والغريب أنه فى ذات الوقت كان الشعب يتظاهر فى صخب كبير ويطالب ببقاء الثورة والجيش فى الحكم ، ويعلن رفضه للديمقراطية والحرية والدستور ، ويهتف لسقوطها جميعاً ، وكان موقفاً غريباً يوحى ويؤكد بأن هناك صنعة ولعباً من جانب الثورة ، لأنها لم تستطع أن تتحمل آثار منحها الديمقراطية والحرية . فأعادت الرقابة على الصحف وأعقب ذلك مذبة الصحفيين ومذبة القضاء والتكليف بكل كاتب أو صحفى تَجراً وطالب بعود الجيش إلى ثكناته والاكتفاء من الثورة بطردها للملك وتغيير نظام الحكم من الملكية إلى

الجمهورية . وقد حار المراقبون فى تحليل هذه الظاهرة الغريبة . شعب يتادى بقتل الحرية والديمقراطية ، ومفكروه ينادون بتوسيع نطاق الحرية والديمقراطية ، وحكام يحاولون منحها بالقطارة بما يتفق مع مصلحتهم هم ، وليس بما يتفق مع مصالح البلاد العليا ، ولم يجدوا من تبرير لهذه الظاهرة سوى قولهم بأن الإصلاحات والإنجازات العملاقة التى أتى بها عبد الناصر فى حكمه الدكتاتورى والشمولى بهرت الشعب المصرى كما بهرت الشعوب العربية . فلم يستجب لعبد الناصر عندما حاول إقامة حياة ديمقراطية سليمة التى نص عليها المبدأ السادس من مبادئ الثورة ، وأنا لست مع هذا رأى . فالشعب الذى لم يستجب للديمقراطية والحرية استجاب إليها فيما بعد . بل وطالب بها وإنما فى تصورى أن سبب فشل عبد الناصر فى محاولاته إقامة الديمقراطية وبناء صرح الحرية أن الثورة لم تهين له ذلك ، ولم تقدم له من الأمان ما يجعله يثق فى وعودها ويدعمها ، وإنما الثورة حركت عناصر معينة لقيادة تلك المظاهرات لتخرج من المأرق التى وضعت فيه ، وكاد أن يطيح بها . فالشعب الذى عرف الحرية والديمقراطية هو نفس الشعب الذى لم يقبل فيما بعد على الانتخابات والاستفتاءات التى أقامتها الثورة وإنما فوجئ بأن نتيجة هذه الاستفتاءات كانت تقترب من الإجماع والكتاب الذين طالبوا بالحرية والديمقراطية ونكل بهم لجأوا إلى الكتابة بالرمز خوفاً على حياتهم ، ومعنى هذا أن الثقة بين الشعب وحكامه كانت مفقودة تماماً .

## الشعب المصرى برئ من أية مسئولية فى هزيمة يونيو

### مسئولية الهزيمة كاملة يتحملها النظام برموزه العسكرية

الشعب المصرى برئ من أية مسئولية فى هزيمة يونيو . مسئولية الهزيمة كاملة يتحملها النظام برموزه العسكرية .

لاجدال فى أن نكسة يونيو - كما سماها عبد الناصر - كانت نتيجة حتمية لسليبيات وأخطاء وقعت فيها الثورة خلال مسيرتها منذ أن قامت إلى أن حدثت الهزيمة الشنعاء . وهى فترة بلغت من الزمن خمسة عشر عاماً كاملة أو أقل قليلاً تحدث فيها الثورة قوى كان لها وجود قوى بين شرائح المجتمع ، تحدث الأحزاب وتحدث الملاك وأصحاب رأس المال ، وتحدث الوجود الاجنبى الذى كان يعيش فى مصالحنا الحكومية وهيئاتها ومؤسساتنا ، ولكنها استبدلت هذا الوجود بوجود أجنبى آخر لم يكن أحسن حالاً من الوجود الأجنبى الذى سبقه . فقد كان الوجود الاجنبى قبل الثورة وجوداً غريباً والوجود خلال الثورة كان وجوداً شرقياً سوفيتياً على وجه التحديد . بدأ فى أعقاب الحصول على صفقة السلاح التشيكي عام ١٩٥٥ .

ومنذ ذلك التاريخ دخلت الثورة فى حلبة الصراع بين الشرق والغرب ، ولكنها لم تستطع أن تدير هذا الصراع لصالحها وصالح الشعب ، بسبب جهل وفودها العسكرية بالأعيب السياسة وحبائلها ومقالبها ، والمأخوذ على أسلوب الثورة فى هذا الصراع أنه كان يقوم على أساس من لم يؤيدنا ليس منا - أى هناك خطان أبيض وأسود ، فطردت الغرب وارتقت فى أحضان الشرق . وهى التى أسست مبدأ الانحياز وقد ساق عبد الناصر تبريرات عديدة لخروجه عن سياسة عدم الانحياز . فقد قال بعد هزيمة يونيو بعد أن عرض على السوفييت التحالف معهم والتخلى عن سياسة عدم الانحياز قال : اننا فى الحقيقة نعتبر منحازين فى الأصل . ومن أجل ذلك تعرضنا للعدوان عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ كما نتعرض لعدوان آخر مادامنا نسير فى هذا الخط . وأضاف : المهم بالنسبة لنا نشوف فين مصلحة بلدنا . لذلك علينا أن ننظم التعاون بيننا لأنه من غير المنطق أن أكون محايداً بين

إلى بيضربنا وإلى يساعدنا فإذا كنا نطلب منكم أن تكونوا معنا فى وقت الحرب . فيجب أن نكون معكم أيضاً فى وقت الحرب ووقت السلم ، ونحن مستعدون أن نعقد اتفاقية سرية أو علنية .

والواقع أن عبد الناصر بشهادة أعدائه وشهادة محبيه ومريديه كان زعيماً وطنياً يتبع السياسة التى تؤيد استقلال بلده وحريتها كلما أمكن ذلك . فقد حارب الأحلاف الأمنية وعقد اتفاقية الجلاء لإخراج القوات البريطانية من مصر ، ولكن كان هناك مسمار جحا . فقد كان هناك أجزاء من قاعدة قناة السويس يقيم فيها خبراء بريطانيون بملابسهم المدنية . كانوا فى حالة استعداد لعودة القوات البريطانية فى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة فى الخارج على أى بلد يكون طرفاً فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية ، أو على تركيا وهو ما أشار إليه الدكتور محمود فوزى السياسى المخضرم وخاف من نتائجه ، ولكن عبد الناصر كان ينقصه الخبرة والحنكة السياسية لإدارة دفعة هذا الصراع بين الكبار ، وهو ما أشار إليه نهرو الزعيم الهندى بقوله : إن عبد الناصر فى حاجة إلى بعض الشعر الأبيض ومن هذا المنظور يمكننا القول أن عبد الناصر كان على حق عندما عادت الغرب ، وكان على حق أيضاً عندما ارتدى فى أحضان السوفييت . لأنه فعل ذلك بهدف إزالة آثار العدوان الإسرائيلى والهزيمة التى منى بها ، وفعل ذلك بهدف تأمين استقلال مصر وأمنها القومى . إلا أنه لم يسلم من تأمر الغرب عليه وعدم وقوف الروس المواقف التى كانت تحميه من هذا التأمر . بل أن الشك يحوم حولهم فى أنهم شاركوا فى بعض الأحيان فى التأمر على عبد الناصر . باختصار كان الغرب والشرق على السواء مستغلين مستفدين لثروة مصر مسيطرين عليها ، فإذا كان الغرب عندما كان سيد الموقف فى مصر - قد استولى على الذهب المصرى الأبيض ، وهو القطن وأرسله إلى مصانع لانكشير فى بريطانيا . فإن الشرق رهن هذا الذهب المصرى لسداد ثمن شحنات الأسلحة التى كان يصدرها لمصر ، وكل ذلك فت فى عضد الاقتصاد المصرى ونخر فيه كما ينخر السوس فى الخشب فتردى وتعزى وضعف . وقيل بحق إن الثورة تسلمت الاقتصاد المصرى وهو فى أوج مجده وتركتته وهو فى أوج نحسه .

على أنه مهما قيل فى تقييم ثورة يوليو مشوها إنجازاتها الرائعة، ومقللا من مجدها السياسى والاقتصادى. فإن هناك حقائق ستظل شامخة فى تاريخها المجيد لن يستطيع أحد أن يطمسها أو يتجاهلها. فكما قال المؤرخ الكبير الدكتور حافظ رمضان فإن عظمة ثورة ٢٣ يوليو إنما تكمن فى شئ واحد وهو أنها استجابت لحاجة المجتمع المصرى إلى التغيير ليتخلص من فساد الملك وزمرته ويطبق الشعارات التى نادى بها مفكروه وعلماءه ليستمر تضاله من أجل الحرية والتقدم، وتزول من طريقه طبقات الإقطاعيين والمحتكرين لعروة وجهده، وقد نجحت الثورة فى نقل البلاد من الاقتصاد الزراعى الراكد إلى الاقتصاد الصناعى المتقدم، وهو إنجاز حقيقى لثورة ٢٣ يوليو الذى لا يستطيع أن يمارى فيه أحد. فقد نقلت البلاد حضاريا من المرحلة شبه الإقطاعية إلى المرحلة الرأسمالية. ومن المرحلة الرأسمالية إلى المرحلة الاشتراكية، وكان ينقص هذا التحول الكبير تحقيق الحرية السياسية للشعب. وعدم تحقيق هذه الحرية هى التى ضيعت الكثير من ثمار هذه الثورات الحضارية. بل أحدثت بها كثيرا من النكسات، ورغم كل هذا النقد الموجه للثورة. إلا أنها ستظل الثورة الرائدة التى أيقظت الشعوب ضد ظلم الاستعمار والاستغلال، وستظل الثورة الرائدة التى دكت عروشا وأطاحت بنظم ماكانت شعوبها تحلم بزوالها.

ولكن أين كان الشعب المصرى فى حلبة هذا الصراع الذى رفعته الثورة مع الكبار وهو السيد مصدر السلطات والتشريع؟، هذا الشعب يحلو للبعض عندما يقيمون أسباب نكسة يونيو، ويصنفوا أسبابها ودوافعها وتحديد مسئولياتها أن يحمل هذا الشعب جزءا من المسئولية عن هذه الهزيمة. والشعب برئ منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب، والجزء من هذه المسئولية الذى يحملوه للشعب يحملوه من منظور أن الشعب ابتلع الطعم الذى قدمته له الثورة، والذى صور له بطولات للثورة لاتعادلها أية بطولة. فهى التى أسقطت النظام الملكى البغيض، وقضت على الإقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم، وأنها الحامية لحقوقهم التى افترسها عهد ما قبل الثورة وقادهم إلى حكم النصف فى المائة، الذى تمتع وحده بالحياة الرحبة السخية. أما الغالبية العظمى من الشعب فقد ظلت مطحونة عشرات السنين تمتص هذه القلة قوتهم ودماءهم لتعيش فى القصور الشاهقة وتركب السيارات

الفارحة. بينما الغالبية العظمى تعيش فى أكواخ لاتصلح للإدمين وكأن الحياة الكريمة ليست من حقهم، وإنما هى من حق تلك الفئة المرفهة. هم السادة وهؤلاء العبيد لهم، وصدق الشعب الطعم واستكان له ولم يهب فى وجه رجال الثورة دفاعاً عن حقوقهم ضد أى مساس أو نقصان.

نحن لسنا مع هذا رأى. فصحيح أن الثورة خدرته بمعسول الكلام وحلو الشعارات ونجح إعلامها فى هذا المجال إلى حد كبير فى تركيز الأضواء على عبد الناصر وحده. ولكن من المنظور الحقيقى فإن الثورة فرضت عليه قبضة حديدية لم يستطع تكسيها فى مرات عديدة صاح فيها وغضب وزمجر واعترض وثار، ومنها أحداث شبر الخيمة وحلوان وكفر الدوار والأنقلابات المتعددة التى قام بها الضباط والجنود، ولكن الثورة استطاعت أن تخمدتها بين غمضة عين وانتباهتها، واستطاع إعلامها أن يحورها من ذاكره هذا الشعب. بحيث لم يعرف أحد تفاصيلها ولا بالضبط ما حدث بها. قد يكون هؤلاء يؤمنون بهذه النظرية على أساس أن هذا الشعب أيد عبد الناصر عندما فتح أبواب الحرية وأعلن الديمقراطية، وأيده عندما قتل هذه الحرية ودفن تلك الديمقراطية. ونادى بالديمقراطية والشمولية. إلا أنه يعفى هذا الشعب من هذه النظرة أن عبد الناصر كان قد بهر بهقراته التى كانت معظمها إنصافاً له ولأولاده والأجيال من بعده، فترك له الحبل على الغارب إيماناً منه وبه إنه - أى عبد الناصر قادر على تحويل الهزائم إلى انتصارات، والتكسبات إلى إيجابيات. كما أن المؤلف أن الشعوب تحت نير الحكم الشمولى لاتستطيع أن تفعل شيئاً فحركاتها محسوبة وأنفاسها مجبوسة. ولذلك ليس من الإنصاف أن نحمل شعب مصر ذرة من الهزيمة التى منيت بها قواته المسلحة، ولا يمكن أن نحمله مسئولية أى تقصير حدث فى مسيرة ثورة يوليو الطويلة.

## «مؤلفه الكتاب»

- تخرج فى كلية الآداب عام ١٩٥١ وحصل على ماجستير فى التحرير والترجمة والصحافة عام ١٩٥٥ وحضر عدة دورات للإعلام والسياسة والاجتماع.
- تدرج فى المناصب الإذاعية والإعلامية والصحفية إلى تولى منصب وكيل أول وزارة الإعلام، ومستشار الوزير.
- تولى مهام الإعلام فى رئاسة الجمهورية من عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٧٤ وعمل مستشاراً صحفياً فى لبنان.
- حصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى، وعلى درع الإعلام، وعلى جائزة التأليف القومى عن كتابه «فى المعركة الفاصلة مع العدوان الثلاثى».
- عاصر الأحداث عن قرب بحكم المناصب التى تولاها، ورافق الرؤساء المصريين فى جميع زياراتهم الخارجية، وأسهم فى مؤتمرات القمة العربية والقمة الأفريقية ودول عدم الانحياز، والمؤتمرات الإعلامية المتخصصة، وحصل على العديد من الأوسمة والنياشين وشهادات التقدير من رؤساء وملوك هذه الدول.
- انصهرت الأحداث فى بوتقة فكره حتى أصبح واحداً من المراقبين والمعلقين السياسيين المشهود لهم بالتعمق فى مشاكل الشرق الأوسط وقضايا العالم.
- عضو نقابة الصحفيين العالميين والمجالس القومية المتخصصة واتحاد الصحفيين الأفريقيين، وله مؤلفات عديدة عن الإعلام والسياسة والاجتماع.

رقم الايداع: ٩٧/٣٩٠٥

الترقيم الدولى: 6-177-208-977 .

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)